

أَرْقَةُ مُهَاجِرٍ

الكتاب: أزقة مهاجر

النوع: رواية

المؤلف: محمد جعفر

التصحيح اللغوي: دعاء عطية

تصميم الغلاف: آية أنيس

التنسيق الداخلي: محرزق

الطبعة الأولى: 2026

رقم الإيداع: 9591\2026

الترقيم الدولي: 978-633-8490-00-3



الناشر: دار انطلاق للنشر والتوزيع

للتواصل: startpublishing372@gmail.com

من هنا تبدأ الحكايات ويبدأ الأثر

تليفون الدار: 01155799321

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي إقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرّض صاحبه للمساءلة القانونية، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء، والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

أَزَقَّةُ مُهَاجِرٍ

رواية

محمد جعفر

انطلق

إهداء

إلى أمي وأبي وإخوتي، مع كلِّ تقديري لجهودكم معي ومساندتكم لي، رغم عواصف الحياة التي مررتُ بها وما فيها من ألم، وأيضًا صعوبة اختياراتي التي فرضتها على الحياة. ولن أنسى- وقفتكم معي وأنا في أضعف حالاتي، ممَّا أصابني من ابتلاءات شهدتموها. أحسُّ أنني أخفتكم عليَّ كثيرًا، وآلمتكم بحالي أكثر ممَّا كنتُ أتألم أنا. لكم دينٌ عليَّ. آمل أن يحلَّ الربيع قريبًا في حياتي؛ سأكون زهوركم المُبهجة وربيع أيامٍ لكم لا تُنسى.. هذا وعدي، وشكرًا لكل قارئ. أقول لك إن القراءة عمود الحياة، فهي تورثك الحكمة. والآن اقرأ وتأمل ما قدّمتُ لك.

في اليوم الأول من الربيع جلس الشاب أرتيسوس على قارعة الطريق في زقاق الملك أرمادوا، يلتقط أنفاسه مع حقايبه التي وضعها أمامه بعد رحلة طويلة حول قرية ناثيون الأسطورية. كان تائهاً، وقصته أغرب مما يكون. تلك فقط كانت البداية، ولم يكن يعرف هو أن تلك الأزقة تُخبئ له الكثير، أكثر مما تبدو على هدوئها؛ الهدوء الذي لم يعتده من المكان الذي جاء منه، وهو العاصمة وصخبها المعتاد.

كان الناس من حوله يبدوون طيبين، يحيونه عند عبورهم من أمامه، وحتى إن بعضاً منهم سأله إن كان بحاجة للمساعدة؛ لأنهم ميّزوا أنه غريب عن القرية. كان واثقاً، وكله اطمئنان أنه سيجد سبيله في تلك البلدة الغريبة عليه، ولكن إلى الآن كان لا يحمل سوى عنوانٍ لمزرعة بعيدة عن القرية.

استقل الحافلة واتجهت به صوب مأواه الجديد. وصل ووجد صاحب شاحنة أكمل به الطريق الوحل حتى وصل مزرعة الجد فاستيلو، وهو عجوز في الثمانين من عمره، وزوجته العمة ماريان؛ هكذا يناديها الأطفال. وهي محبوبة وموقرة من الجميع في القرية، ولكنها أصبحت قلماً تخرج إلى التسوق ولقاء القريبات والتحدث وشرب الشاي.

لم تكن طفولتهم، هي والجد، كذلك التي يعيشها الناس الآن؛ فهم انتقلوا إلى العيش في المزرعة فقط لمدة خمسة وعشرين عامًا.

وصل الشاب. كانت المزرعة كبيرة، وجزء منها مهجور، ولكنها منسّقة بحرفية لم يسبق له أن رآها في مزرعة؛ فهو قد درس تخصصين، أحدهما تخصص الزراعة والآخر التجارة.

دخل، وكان يتوقع وجود كلاب حراسة كثيرة لمزرعة كبيرة كذلك، ولكن عندما دفع الباب رنّت أجراس كبيرة، وبعدها سمع نباح كلب، وظهر له بعدها رجل عجوز وكلبه الضخم وهو يحاول السيطرة عليه. تقدّم، وكان العجوز يحمل بندقيته، ووصل إليه وسلّم وقال له:

– مرحبًا أيها الجد، ألم تعرفني؟ أنا ابن ابنك غويستان.

رحّب به الجد:

– أهلاً يا بني. وكان سعيدًا به، وعجّل بدخوله بكل ترحاب. والتقى الجدة وتعرّف بها، وأعدّت له الحساء الذي اشتهرت به.

وكان له ببغاء مزعج قليلاً، ولكنه ودود بعض الشيء، كان يغني. واندesh صديقنا ممّن علّمه كل تلك الأغاني، وسأل الجد عن ذلك، فأجابته: علّمه ابننا المتوفّى قبل سنتين في هجرته إلى البحر. القصة

التي أصبحت مشهورة، ومات غرقاً هو وأصدقاؤه. نجى فقط هذا الطائر المزعج، الذي طفا على خشبة عندما أتت الدوريات لإنقاذه ووجدته، وكتبت القصة في الجرائد، وكان البطل الببغاء رومينو الذي عاش رغم المأساة.

مرّت الأيام وتناسينا القصة كالعادة، ولكن جدتك ما زالت حزينة لابنها؛ هي عطوفة جداً.

بعدها دلّ الجد ابنه على غرفته. وجد غرفة فسيحة مزينة، وفيها ورود ولوحات، ومعطرة بعطر جميل لم يشمه من قبل. نام، وبكل هدوء أخرج رواية قديمة كان يحب تصفحها، ونام دون أن يدري.

في الصباح، وبعد الإفطار، سأل الجد:

– هل يمكنني الخروج للبلدة؟

أجابه:

– يمكنك، ولكن لا توجد أماكن ممتعة لشاب مثلك.

أجابه:

– لمحت بعض المكتبات والمقاهي، تلك هي الأماكن التي أحبها.

قال الجد:

– هناك أيضًا دار الأوبرا القديمة، تقدّم الفنانين الجدد يوم الثلاثاء والخميس والسبت، يمكنك الذهاب؛ فالיום السبت.

– حسنًا.

– أحتاج لرفيق؟

أجابه:

– نعم.

– حسنًا، خذ معك روميرو.

– الببغاء؟

– لا يا بني، الكلب؛ فهو سيساعدك بطريقة ما.

لم يفهم الابن الجد، وذهب بصحبة الكلب بعربة الجد. وصل وتجول هو وكلبه بين المكتبات؛ كانت هناك كتب عالمية وكتب عتيقة، أخذ منها نصيبه. لم تكن أسعارها غالية كما ظن.

ذهب إلى المقهى، وظن أنه لن يسمح بدخول الكلب المكان، ولكنه تفاجأ بالنادلة ترحب بالكلب وتسأل عن الجد. وأخبرته أنه الكلب

الوحيد الذي يسمح له بدخول أي مكان، حتى مكتب العمدة؛ فهو الكلب البطل.

استضافتهم وسألت عما يريدان، وطلب الفطائر والقهوة، وأحضروا طعام الكلاب لزبونهم الكلب. تصفح الكتب وأنهى طعامه، وذهب إلى دار الأوبرا ليعلم متى يفتح العرض. تفاجأ بأن لديهم بعض التصليحات، والدار مغلقة بسبب حريق جانبي.

سمعهم يهمسون: الأشباح من فعلتها، نحن موقنون.

تذكر في أول ليلة له أنه شاهد أمرًا غريبًا، والعربة عابرة بالغابة: امرأة ترتدي أبيض، واختفت فجأة. ظن أنه تخيل ذلك.

رجع للجد وسأله عن قصة الكلب، وسأل عن وجود الأشباح في المنطقة.

أجابه الجد ببساطة:

– لا تصدق كل ما يقال. هيا فلتساعدني، أريدك أن تكون مزارعًا جيدًا.

وهما بالعمل نظفا الأرض من الحشائش. بعدها جلسا يحتسيان شاي الجدة، وكانت تحيك له كنزة صوفية جديدة بدأتها باكراً لعلها بقدم الشتاء القارس.

أخذ استراحة، وجاء شاب وسلّم عليهم. عرّفه الجد وأخبره أنه يأتيه من المزرعة المجاورة للصيد. ذهبوا جميعاً واصطادوا بظاً وبعض الطيور. أخذ كل نصيبه، وقامت الجدة بطهو الباقي هي وخادمتها التي كانت في عطلة وأتت للخدمة. استمتع الجميع بالغداء.

وحلّ المساء، وبدأت أصوات الصراخ. همّ الفتى بالخروج، ولكن الجد منعه وأخبره القصة: إنها ذئاب مفترسة تأتي من التلال من أواخر البلدة. لا يذهب أحد إلى هناك. بعض المزارعين يتركون لها البهيمة الضعيفة حتى لا تفتك بباقي القطيع، ويتركونها أمام المزرعة، فينشلون ويطلقون بعدها رصاصات تحذيرية.

لم تقنع قصة الجد الفتى؛ لأن الأصوات كانت وكأنما أشخاص يتحدثون صخباً وعويلاً. فهم أنه لم يحن الوقت لمعرفة الحقيقة.

وجد الجدة تصلي وهي خائفة، ونادته أن يدخل ولا يستمع للأصوات؛ فهي من الشرير. لاحظ في هذه المرة الدخان في الغابة والأنوار، وبعدها اختفت. ظنّها حريقاً.

لم ينم ذلك اليوم.

وفي اليوم التالي اصطحب الكلب وذهب إلى نفس المقهى، ورحبت به
النادلة:

– مرحبًا أيها الزبون الجديد الوسيم.

سألها مباشرة:

– حدثيني عن أشباح البلدة.

قالت له:

– اصمت لكي لا يسمعك أحد. لا أحد يتحدث عن هذا الأمر هنا.

لكنه أصر على الحديث والسؤال. أخذته إلى آخر المقهى وأخبرته أن
هناك أشباحًا تسكن البلدة، تصرخ وتريد أن تنتقم بشدة، وأحيانًا
تحدث الحرائق.

– وما الذي حدث؟

هكذا سأل.

أخبرته القصص الكثيرة، وقالت أيضًا إنهم يقولون إنهم سحرة أُحرقوا من قبل هنا، ويقولون أيضًا إنها أرواح السكان الأصليين، ويقولون إنهم جن، والكثير الكثير.

سألت:

– ماذا حدث لتسألني؟

أخبرها ما شاهد.

ضحكت وقالت:

– اعتد الأمر، هي ليست مرعبة إلى هذا الحد.

عاد إلى الجد، وقاموا بأعمال يومهم كالعادة. كان هناك خدعة سحرية تعلمها من إحدى الكتب: وضع المرأة الكبيرة، ورشّها بالدم، ووضع كاميرا تسجيل بعيدة.

في اليوم الأول لم يظهر له شيء، ولكن في اليوم الثاني تفاجأ من المنظر الذي اقشعر له بدنه: امرأة وجهها أبيض وفمها أسود، وترتدي الأبيض. أزاحت الدم عن المرأة، ونادت الكلب. أتى وجلس ولم يتحرك، لاعتبه قليلاً، وطار، ولكنها ظهرت فجأة أمام الكاميرا وقالت:

– اتركنا حتى لا نعاقبك.

خاف، وحاول أن يري الجد المقطع، لكن لم يكن الجد يرى سوى الفراغ في الصورة. غضب الجد وأخبره أن لا يفعل ذلك مجددًا، ولم يتكلما في الأمر مرة أخرى.

ولكن في اليوم التالي أيقظته حرارة في جسده، وأيضًا عندما استيقظ سمع صوتًا يناديه ويقول:

– ماذا تريد؟ ارحل.

وفتحت الريح النافذة بقوة. لم ينم بعدها.

ذهب إلى الجدة، فوجدها مستيقظة قرب الحطب تحيك الكنزة. أخبرها أنه يجب أن يذهب.

– لماذا يا بني؟

سألته، وأعقبت:

– إن الكنزة لم تجهز بعد.

– هل آذتك الشيطانة؟

– من هي؟

سأل.

فأجابت: هي ساحرة أحرقها أهل القرية في هذه المزرعة، وهي تضايق الشباب دائماً هنا؛ لأنها انتهت وهي شابة. ولكن لا تخف، سأخبرك ماذا تفعل.

أعطته حفنة رماد من جرة قديمة كانت بقربها، وقالت له:

– رشّها في الغرفة، لن تستطيع الحضور تلك الأشباح لابني.

ولكن بعد ذلك سمع بكاء تلك الساحرة الشبحية، وقالت بوضوح:

– أنت أيضاً.

ورحلت تتوعد أنها لن تتركهم بسلام، وأخبرته أنها لن تتركه حتى يرحل أو يموت.

رجع إلى الجدة وأخبرها. أعطته مسحة وقالت له:

– أنا أحرسك منها، لا تخف.

لم يفهم كيف يحصل هذا، وكيف سينجو إذا كان الأمر حقيقة والتهديد جدّيّاً.

وفي يوم، عندما همّ بالخروج ليلاً، أراد تحديها في تلك اللحظة؛ لأنه سمع الصراخ، فتمسح وذهب. ظهرت له ولم تكن وحدها؛ كان معها أشباح مسوخ. أرادت الاقتراب، بدأت تحترق وتغير لونها إلى الأسود، فعرف أنها تأذت.

تركته وقالت:

– لن أعود... أنت ابنها.

طالت الفترة، وأنهت الجدة الكنزة وأهدتها له. حصد مع الجد الزرع، وتطورت علاقته مع النادلة وصديقه الصياد. بدأت حياته تبدو جيدة، ولكن الأشباح كان لها خطة أخرى.

في اليوم الذي ذهب فيه الأصدقاء إلى السينما، وفي طريق العودة ظهرت الساحرة في منتصف الطريق فجأة. أشاحت الرؤيا التي باتت ضبابية، ومسحها ثقب الإطار، وارتجت الإطارات، ومالت العربة عن الطريق، واصطدمت بالزرع وحاجزه التراي بقرب الطريق. سالت دماؤهم وأغمي عليهم.

وجدتهم أحد العابرين بالطريق، فطلب النجدة، وأخذ الأصدقاء الثلاثة إلى المشفى. خيطة الجراح واطمأنوا لحالهم؛ رضوض خفيفة وجراح سطحية لا أكثر.

ولكن الجدة كان لها رأي آخر. أخذت كتبها وجزّاتها، وأخذت الفتى بعد أن شُفي إلى الغابة والتلال. سلّح نفسه بالبندقية، ورحلا. وصلا فوجدًا نازًا في كهف.

أخبرته أن لا يخاف، أخرجت ما لديها ورسمت دائرة، أدخلته فيها، وبدأت تتمتم، وقالت:

– اخرجي أيتها الشريرة.

فخرجت الساحرة الشبحية، ومعها فتاة وشاب.

سألتهما الجدة:

– ماذا تريدان من ابني؟

أجابت:

– لا شيء، أنا لا أفعل شيئًا.

سألتها الجدة:

– إذن من يفعل؟

– هي اختارته هكذا.

أجابت الفتاة.

قالت الجدة:

– أنت أيضًا لك دور في هذا.

ردت:

– لا، هي قالت إنه المختار، هو من سينتقم لها ويعيدها.

قالت الجدة:

– إذن توقفي عن مساعدتها.

قالت الفتاة:

– لن أستطيع، ستقتلني.

قالت الجدة:

– ألم أخبرك أنني واجهتها وهزمتها وهي حيّة، وقُبض عليها وحُكمت بالحرق؟ ماذا تخافين؟ قولي.

ردت الفتاة:

– وهي شبح أقوى على الاستيلاء، كما أن معها مسوخ الجحيم والهاوية وأشباح الظلام. ماذا أفعل؟ هذا مصيري.

قالت الجدة:

– إن أردتِ خلّصتك... والآن.

بعدها هبّت رياح قوية، وهبطت الأشباح والمسوخ والشياطين في المكان. ارتعب الفتى وخشي على الجدة، لكنها كانت شجاعة وأشعلت نارًا في دائرتها.

ظهرت لها أيضًا أشباح أشكالها طيبة. ارتعبت الساحرة وقالت:

– أنتم أيضًا!

الجدة بدورها قالت:

– هكذا عرفت السر، سر قوتك. يا هذه... أنا آمرك أن تبتعدي عن البلدة وعن ابني، وإن لم تفعلي فاعلمي أنك ستكونين محبوسة في الهاوية، ولن تستطيعي الخروج.

قالت:

– أيتها الجدة، كبرت وضعفت، ولن تكوني كالسابق. من معك هو المختار.

هكذا قالت الشبحية.

بكت الجدة وقالت:

– ابنتي، استسلمي. يكفيك هذا العناد والإصرار، الانتقام لا يفيد صاحبه.

ردت:

– لم أنته، سأنتقم منكم جميعًا.

قاطع الفتى الجدة وسأل:

- من هذه يا جدتي؟

أجابت:

- إنها ابنتي من ذلك الشيطان.

- من هو؟

سأل.

قالت:

- كان ساحرًا في البلدة، لكنه كان جشعًا لئيمًا، تعامل مع الشيطان الخطأ. وعندما أنجبناها ضحّي بها؛ فهي كانت هديته للشيطان لتكون ساحرته الكبرى هنا. وأتمّوا الطقوس دون علمي.

ولكنها عندما كبرت، ومات أبوها، كنا نستخدم السحر للعروض المسرحية للترفيه فقط، لكنها اختارت الجانب الخطأ، وبدأت تقتل الناس في البرية؛ تلك النفوس البريئة التائهة.

بعدها اضطرت لمواجهتها وسيطرت عليها، ولكنهم أخذوها للمحاكمة. أُدينَت وأُحرقت في المزرعة، ومن يومها تسخر أي أحد ضعيف لخدمتها وتؤذي الناس.

بعدها بدأت المواجهة، وكانت نيران تخرج وأضواء وأشباح تظهر وتختفي، وعمّ المكان الفوضى.

في النهاية انتصرت الجدة وأطيافها، وحبسوها في الجرة المختومة، ومن كان يساعدها هربوا. وأخبرت حفيدها أن لا يخبر الجد.

بعد تلك الحادثة أصبح الفتى أكثر فضولاً وبحثاً في كتب السحر. ظن أن الساحرة سوف تعود ولو بشكل ما، رغمطمأنّة الجدة له، ولكنه كان مرتبّاً.

في النهاية بدأ الاقتناع بأن شيئاً لن يحصل له والجدة معه.

– ماذا لو لم ترحل؟ فالأمر معقد.

هكذا فاجأ أصدقاءه بالسؤال، وأضافوا أن الساحرة المساعدة ما زالت موجودة.

– ماذا لو أحضرتها مجدداً؟

سأل الجدة مجددًا، فأخبرته أن هناك جمعية سرية لإيقاف السحرة غير المرخصين والذين يؤذون البريئين مثلك.

ضحك، وبهدوء رحل. استمتع بأيامه بعد الحصاد، زار المزارات والمكتبات مع أصدقائه ووحده ومع كلبه، وعاش ببساطة.

ولكن الأيام تتغير دائمًا، ولا ندري من أين تأتي الرياح العنيدة التي تأخذنا معها إلى بعد آخر.

وفعلًا حدث ما لم يكن في الحسبان.

ماتت الجدة. كان يشك أن السحرة والشياطين قتلوها. وجدوها نازفة الدم من أنفها، والطبيب أخبرهم أنها جلطة.

تم العزاء، وكان الحزن قد خيم. كان لها معارف وصديقات كثير، وكان عزاءها مهيبًا

بعد أيام كانت وصية الجدة صندوقًا صغيرًا لابنها. كانت فيه خريطة، كانت هي كنزها له. لم يكن المكان بعيدًا؛ كان مطبخها السري وغرفتها التي تستريح فيها النهار وتحيك فيها بعد تصفح المجلات القديمة التي لا تمل منها أبدًا، والحظيرة.

جمع الأحجية فكانت رسالتها: فلتعش بسلام يا بني، أحبك. وتركت وعنوان.

ذهب للعنوان، ووجد دارًا للمسنين. أدخلوه وأعطاهم البطاقة المرفقة، وأنزلوه القبو بعد التأكد من هويته.

وجد نفس الساحرة مربوطة هناك، والمفاجأة... الجدة هناك أيضًا.

لماذا؟ كيف؟

هكذا دارت الأسئلة في ذهنه.

ولكن عندما حدثته علم أنها توأم الجدة، أتت لتنتقم لها.

دارت بينهم الأحاديث، وبعدها فتحت له كتابًا فيه صور، وقالت له:

– هؤلاء من عائلات الساحرات الذين يعملون هنا.

تصفح الصور، فرأى صورة أمه، والأعجب صورة صديقه النادلة. تفاجأ.

فأخبرته:

– نعم، إنها ابنة عمك.

سأل: هل سأنضم؟

قالت: لا، لا يحسن بالرجال أن يكونوا هنا.

بعدها شهد طقوس نهاية الساحرة. أُحرقت بسحرها وانتهت همومه.

ذهب إلى المقهى وكان يضحك؛ لأنه علم سر الصديقة الخفية التي تخفي وراءها الكثير.

واجهها بذلك، فضحكت وأخبرته قصتها. ذهباً لحفل الأوبرا سوياً، كان السبت. أوصلها ورجع إلى الجد الحزين الوحيد.

حتى كلبه أصبح له صديق جديد.

لم يكن هناك ما يفعله سوى التأمل في المزرعة، ووهب الجد وقته للاعتناء بالزهور التي تركتها الجدة.

كانت له رؤيا للفتى أن يسافر؛ فالقرية ليست مكاناً مناسباً له، لن يجد طموحاته.

ولكن الفتى كانت له أفكار أخرى لتوسيع المزرعة وزيادة إنتاجها والعيش هناك بسلام. أحب الحياة الهادئة هناك وأقنع الجد بذلك، فوافق الجد.

وبدأ يشاهد ما يفعله الابن بالمرعة هو وأصدقائه: زيادة المساحة المزروعة، وأنظمة الري جهازها وصانها بأفضل ما يكون في ذلك الوقت.

ولكنه لم يعلم أن الأرض كانت تعيش حالة شبابها وتحب تقمص دور الشريرة أحياناً إن أهملت.

جاء الحصاد التالي، فكسب الكثير، واستحدث أماكن لزراعة الفواكه. وهكذا أصبح الحال أحسن وأسعد للجد.

ولكن الصحة تدهورت فجأة، فأخذ الابن جده إلى المدينة. وفي المشفى كان الخبر الأليم: مرض الجد بالسرطان، ولكنه في المراحل الأولى.

قال الأطباء إن الورم في صدره سيزال.

ظلوا هناك حتى أقيمت العملية، وتشافى الجد وعادوا.

أعجب الفتى بقوة الجد وتحمله للصدمات. رغم كل شيء لم يشتك ولم يحزن.

وكان الفتى خائفاً من خسارته؛ لأنه سيصبح وحيداً.

كانت الفترة التالية من حياة الفتى هي الاعتناء بالجد والمزرعة. كان أصدقائه داعمين له ويساعدونه.

وهكذا كانت الحياة جيدة بالنسبة له وللجميع.

استدعته الجدة لمدينتها البعيدة وقصرها الذي تعيش فيه وحيدة. كان مخيفاً من الخارج، ليس له مظهر سكن من الخارج. تذكر أسطورة الأطفال المحببة: قصر الساحرة الشريرة.

دخل، فرنت الأجراس في البيت المهجور.

أتت الجدة بمظهرها المخيف، أدخلته وأجلسته، أعطته القهوة، وأخبرته أنه يجب أن يتعلم السحر لتقديم العروض السحرية في المدينة معها؛ فهي قد كبرت ولم تجد من يخلفها.

لكنه رفض ترك الجد.

حاولت إقناعه أن الأمر فقط لشهر واحد ليتعلم، وشهر ليعمل، وبعدها يرجع إلى الجد، وأن لديها له مفاجآت.

هنا لم يعلم أن الكثير سينتظره.

إنه الحب الذي سيلتقي به في حياته، حب الحياة الذي ستعلمه له الجدة في تلك المدينة النائية عن الأضواء المبهجة.

أرسل للجدة ليخبره، أتى ردُّ الجدة سريعًا بدعوته له بالتوفيق والسداد. بدأ التعلّم، كان ماهرًا، تعلّم سريعًا الحيل الأساسية، وتحول إلى حيل العروض الكبيرة. وبعد انقضاء مدة التعليم، كان قد زار مع الجدة متاجر الأغراض السحرية، واختار زَيَّه كساحر، وعرفته على من سيساعده في العروض. كان هناك شاب وفتاتان، قدّما البروفات أمام الجدة، ووافقت على ذلك.

بدأت العروض الافتتاحية، قدّمتهم الجدة بفخر؛ كانت مشهورة وقدّمت من قبل الكثير، وكان الجيل الشاب يريد ألا يُخذل جمهور الجدة. قدّموا أسخن العروض التي لم تُقدّم من قبل، وبرعوا في ذلك، وأسعدوا الجدة والجمهور الذي صفق بحرارة لهم.

توالت العروض، وادّخرت الجدة المال لمهمة الفتى التالية التي لم يكن يعلم بها.

وفي اليوم المناسب أخبرته أن لعائلتها أعداء كانوا قد أخذوا صندوق كنز يخص الأسرة، ويريدون منه أن يذهب ليعيده. مطلبهم أن يتزوج أحدهم منهم.

— اذهب وانظر إن استطعت.

هكذا قالت.

وافق وذهب. أعطته المال وودعته، وذهب. عندما وصل، وجد أسرة أرستقراطية، ووجد الفتاة القبيحة التي جُهِزت للزواج. لم يستطع تنفيذ طلبهم، ولكنه حاول التلاعب بعقلهم، وقال:

– أخبروني أيَّ شيء صعب أحضره لكم مقابل الكنز.

تشاوروا، وفي ظنهم أنه لن ينجح، أرسلوه إلى سحرة الشمال ليتحداهم ويعطوهم صولجان الدم والتنين.

ذهب رغم أنه لا يعرف الكثير من السحر، ووجد أشخاصًا كالشياطين، يطَيِّرون الأشياء في البيت دون أن يتحركوا، وتتحرك الأغراض لوحدها، حتى أدوات الزراعة تزرع لوحدها.

أخبرهم ببساطة بالأمر، ووافقوا على شرط أن يتسلق أكبر جبل عندهم، ويأتي ببيضة الصقر من هناك، ويذهب لكهف التنين في الشمال ويحضر الكلب الحارس وسر التنين، ويذهب للحد البحري ويقنع حورية البحر بترك سفينتهم ترحل، ففيها كنز لهم.

لم يصدق أن ذلك موجود. أعطوه خريطة، ورافقته فتاة منهم، وبطلنا مضى في رحلته بهمة.

بدأ التسلق، ولكن بعدها علم أن عليه انتظار الصقر ليحلق، ولم يكن يعلم إن كان هناك بيض أم لا، ولكن حالفه الحظ ونجح.

بعدها قرروا الذهاب للحد البحري، ولكن حورية البحر لا تظهر بسهولة. وجد قاربًا وركب، وجلس ينتظر يومًا كاملاً. أتته في منتصف اليوم التالي أثناء العاصفة.

أخبرها بطلبه، فقالت له:

– يجب أن تغوص معي إلى القاع، بعدها سأوافق.

غاص معها، أعطته فقاعة ليتحمل، ووجد مدينة كاملة تحت الماء.

أخبرته أولاً أن لا يخبر أحداً بما شاهد عندها، وقالت له:

– أعرف من أنت، فأبوك وأمك قد عبرا من هنا وأنت صغير، كدتم تغرقون، وأنا أنقذتكم. لست سيئة كما يقولون، وسفن تلك الأسرة تريد تهريب أشياءها السرية المؤذية، لم أكن لأسمح بذلك، ولكن أعرف أن كنزكم قيم، ولكن يجب أن تستأذن الملكة هنا.

ذهبوا وعرضوا المسألة على الملكة، وهكذا أعطتهم الإذن، ولكن لسفينة واحدة فقط.

بعدها ذهب للكهف، بعد أن أعطته الحورية حبوبًا منومة للكلب. كانت من معه تراقبه بشدة، وأرادت أن تعرف سر الحوريات بأي ثمن، فلهذا أرسلت؛ كانت مهمتها الباطنة.

لكنه لم يخبرها عندما سألته، فقالت:

– أعلم أنك لن تجيب، فلهن قدرة على أن يجعلنك تنسى من أنت وما كنت تفعل.

كان معه فقط ورقة الإذن، ولم يعرف ما حصل، وتعليمات استخدام الدواء.

ذهبوا ووجدوا الكلب الشرس، كان شبيهًا بكلبه، ولكن عيناه تشعان نورًا أحمر، وهو مخيف. استخدم الدواء ودخل.

أمسكته الفتاة وأخبرته أن هناك فخًا:

– لا تدخل، لا يوجد شيء.

لكنه تقدم، لم يجد شيئًا بالفعل، ولكن بعدها ظهرت أفعى تتحدث، وسألته:

– ما تريد؟

أخبرها القصة، فأخبرته أنه إن حصل ذلك سوف يكون ملعونًا، ويجب عليه أن يأتي إليها كل مرة لتداوي نفسه.

وافق، وأخذ كل شيء بعد أن أرته الأفعى مكانه.

أعاد الأشياء إلى أصحابها، وأعطوه الصولجان، وعاد في النهاية إلى جدته بالكنز، وأخبرها ما حصل، وأراها وشم اللعنة من الأفعى.

أخبرته أن لا يقلق:

— في الصندوق ما يفك كل اللعنات، ولكنها ستلاحقك، يجب أن تواجهها وتقتلها إن أتت. انتبه، يمكنها أن تتشكل بلون من تحب وشكله أيضًا، فاحذر.

داوته الجدة من جراحه، وأعطته تميمة سحرية وخنجرًا ليقتل الأفعى إن حضرت له، وسألته:

— هل ستواصل معي؟ لأن الأمر لم ينتهِ.

وافق، وتوالت المهمات السحرية.

ولكن في آخر مهمة، عندما أتى إليها، سمعها تقول إنها أخيرًا ستتحرك، وكانت تحدث كلبًا أسود، وأن الفتى قادم ولا يعلم من أكون.

لم يلفت انتباهها، وهكذا بدأ بالتقصي. ذهب للجماعة وسأل:

– ماذا تفيد المواد التي استجلبها لها؟

أخبروه:

– هي إكسير استحضر الساحرات الموتى.

ذهبوا معه وواجهوا الجدة، واكتشفوا أن الساحرة تلبّستها، وكانت هي من تطلب الأغراض. تحدّوها، ولكن لم يستطيعوا، وهربت من جسد الجدة، ولكن لم تحمل معها سوى صولجان الدم الأسود، وهو خطير جدًا.

أخذت الجماعة الفتى ودربوه جيدًا، وأرسلوه لسحرة الجنوب ليجدوا معهم حلاً لإيقاف الساحرة، وأخبروه أنها في تلالهم تعبث، لكنهم لا يتدخلون ما لم يؤذهم أحد.

كان الطريق شاقًا إلى هناك، ولكن في النهاية وصل وأخبرهم.

قالوا له:

– لتخرجها يجب عليك أن تهزم نظيرتها من مملكة شياطينها، فهي تعطىها القوة، ولا يعرف التعويذة إلا ساحر التلال، وهو لا يحدث أحدًا إلا بتميمة، حتى لا يحرقك حارسه، ولربما مات الآن.

تذكر تميمة الجدة وذهب، ولكن وجد الأفعى أمامه، وسألته:

– لماذا لم تأتِ إليّ؟ ألم تعدني؟ هل تريد الموت؟

أخبرها القصة وطلب مساعدتها، لكنها رفضت، ومهلته حتى يكمل، بعدها يأتيها.

وصل للكهف المهجور، أطلَّ عليه تنين شبحي، عيناه محمرتان. سأله ما يريده، فأخبره أنه مسالم، وكل ما يريده أن يلتقي الساحر الأعظم، وأخبره القصة.

بعدها خرج الساحر وقال له:

– يجب أن تكون رأيت شيطانتها.

تذكر أنه رأى معها كلبًا أسود تحدثه.

أتى الساحر بالبلورة، وأخبره أين يجد شيطانتها وأين الجدة، وأعطاه مسحوقًا لإضعاف الشيطانة وحبسها وحبس روح الساحرة، وأعطاه التعويذات.

وأخبره أنه يعرف أباه، وأنه هو مختاره إن أراد أن يخلفه، ولكنه اعتذر.

قدّم له هدية يمكنه الاختفاء بها والطيران: بساط وقبعة.

ذهب صديقنا، وتمكن من تحرير الجدة، وعاد بها. أقنعها أن تعتزل وأن تذهب معه إلى المزرعة.

أخبرته سرًا لم يكن يعرفه: جده لم يعرف بوجود سحر أبدًا، وكانت الجدة أختها تُنسيه هذه الأمور، وأنه تزوج أختها، وهي كانت رافضة؛ لأنه أحبها أولًا، ولكن يوم الطلب لم يستطع التمييز بينهما، وهي كانت تأخرت في مهمة سحرية ولم تخبر شقيقتها بالأمر، وتم كل شيء.

أخبرته وعذرتة؛ لأنه لم يعرف أن لها توأمًا، وهي لم تخبره باسمها الحقيقي. كانت تخلصه من سحرة قطعوا عليه طريقه، وهكذا كانت القصة.

أخبرها أنه يجب أن يعود ليطمئن على الجد.

وعندما عاد، وجد الجد وأصدقاءه مربوطين ومعلقين على باب المزرعة، والأفعى ملتهبة حولهم. أخرج خنجره، وفي بغتة ضربها، فهربت وتألمت.

فكّهم واطمأن عليهم، وذهب للجماعة وطلب المساعدة. أتوا معه إلى المزرعة وجلسوا معه في الخدمة.

تَغَيَّبَتْ صَدِيقَتَهُمْ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَذَهَبَ لِيَطْمَئِن. أَخَذَتْهُ إِلَى الْعَلِيَّةِ
وَأَعْطَتْهُ مَشْرُوبًا، فَنَامَ.

بَعْدَهَا اسْتَيْقِظَ، فَوَجَدَ الْأَفْعَى تَلَقَّاهُ فِي كَهْفِهَا، وَنَصَفَهَا فَتَاةً جَمِيلَةً
وَبَاقِيَهَا أَفْعَى. كَادَ يَمُوتُ فِي يَدِهَا.

أَخْبَرَتْهُ السَّرَّ: لِمَاذَا تَرِيدُهُ هُنَا، فَهِيَ تَحْتَاجُ لِمَنْ يَنْقِذُهَا مِنْ أَسْرِ لَعْنَةٍ
لِيَحِلَّ مَحَلَّهَا. أَسْرَهَا هُنَا سَاحِرُ التَّنِينِ، مَاتَ هُوَ وَالتَّنِينِ، وَلَكِنْ اللَّعْنَةُ
مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً.

فَجَاءَتْ حَضْرَتُ الْجَدَّةِ، وَبَسِيفِهَا قَسَمَتْ الْحَيَّةَ نِصْفَيْنِ، وَلَكِنْهَا عَادَتْ
مِنْ جَدِيدٍ، وَضَحَكَتْ وَقَالَتْ:

– لَنْ يَقْتُلَنِي سِوَى الْمُخْتَارِ.

رَشَتْ غُبَارًا سَحَرِيًّا وَاخْتَفَتْ، وَعَادَتْ بَابِنَهَا طَائِرَةً بِالْبَسَاطِ.

قَالَتْ لَهُ:

– أَلَمْ أَخْبِرْكَ أَنَّهَا مُخَادَعَةٌ؟ أَلَمْ تَنْتَبِهْ؟

وَقَالَتْ: نَعَمْ، الْحَلُّ فِي سَيْفِ سَاحِرِ التَّنِينِ نَفْسُهُ، وَهُوَ مَعْرُوضٌ فِي
مَسَابَقَةِ السَّحَرَةِ، يَظُنُّونَهُ جَائِزَةً أَثَرِيَّةً، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

– هل أنت مستعد؟

أجاب: نعم.

وبدأت تعليمه ما سيضمن له الفوز وما سيفوز به، وهي الخدع الكبيرة، لذلك اجتهد في التعلم.

ولكن بعدها قالت له:

– يجب أن يذهب للساحر الكبير، ويجعله يوافق أن يعلمه ما يمكن أن يتعلمه ليفوز ويجتاز الاختبار.

أخذته للساحر الكبير، وهناك سمع الساحر القصة، ولكنه أخبره:

– سأتكفل بتعليمك، بشرط أن تتكفل بتعليم ابنتي الصغيرة أي شيء؛ فأنا لا أريدها ساحرة.

وذهب معه لمهمة التعليم، وتعلم منه كل شيء، وذهب للاختبار وتجاوزه.

بدأت المسابقة، استخدم الفتى قبعة الاختفاء، ولكن اللجنة لم تحتسبها. استخدم حيلة أبرع؛ وهي جعل الأشياء تختفي وتعود مع الموتى، وهكذا فاز وأخذ السيف، وأتى به للجنة.

ولكن الجدة لم تكن سعيدة، فبدأ حذرًا؛ إن كانت هي سينقض عليها، وإن كانت الجدة سيخسر جدته. تردد، ولكن عندما لمح وميض العيون، ضرب بالسيف الجدة، فتحولت إلى أفعى تتلوى وماتت.

وهكذا انتهى من اللعنة، ولكن أين الجدة؟

لغز اختفاء الجدة حير الكل. بحثوا ولم يجدوا أي شيء. ذهب الفتى حتى إلى حورية البحار والساحر العظيم، ولم يجد حلًّا للسر.

رجع إلى القرية وجلس يبكي فقدانها. جلس وحيدًا مع جده وكلبه، ولم تنفع طمأنة أصدقائه له في تخفيف حدة الألم.

ولكنه في يوم ما أتته فكرة، وذلك عندما لاحظ أن الكلب يلعب بطريقة غريبة في الحديقة، وكأن أحدًا يلاعبه، ويجلس في بقعة واحدة لا يتحرك منها.

أخذ الصندوق، ووجد المرأة السحرية التي يستطيع بها رؤية الأشباح والأطياف والأرواح وغيرها. جلس يرقب الكلب، فوجد روح الجدة تلاعبه.

عندها أتى بأدوات تحضير الأرواح، واستطاع مخاطبة الجدة لمعرفة مكان أختها، فأخبرته أنها لا تعرف، ولكن عليه التوجه إلى مدينة

السحر في الوسط، والمنافسة في العرض السحري ليرتقي ويصبح الساحر الأعظم للعروض، وبعدها قد يجد المسار الصحيح، وقد يعرف أين الجدة وما معنى حياته كساحر.

أخذ أمتعته، وأخذ كلبه وأصحابه، وسافر إلى مدينة الشتاء. فعلها، اشترك وفاز، وأصبح الساحر المشهور، وأخذ أدوات السحر الصحيحة، وأخذ أوراق التعاويذ القوية.

ووجد أن الجدة أسرتها قبيلة الساحرات القوية في المحيط. تعجب كيف سيفعلها وحده، وأصدقائه ليس لهم دراية بالسحر.

استثمر الوقت، وطلب مساعدة العدو، تلك الأسرة التي أخذت صندوقهم السحري، وذهب إليهم لطلب المساعدة. سخروا منه واستعلوا عليه، ولكنهم في النهاية أرسلوا معه مجموعة من ساحراتهم.

ركبوا المحيط، وافقت حورية البحر على مرورهم، بل رافقتهم هي ومن معها. وصلوا الجزيرة، وعندها تصدت الحوريات لشراكتهم البحرية، وذهبوا إلى الساحرات.

لم يكن يعلم أن الحوريات لديهن القدرة على المشي- على اليابسة وامتلاك أرجل جميلة وقوية، ولديهن أقواس ورماح طويلة وقوية.

بدأت المعركة، وكان الشرط: إن فازوا أن يسلموهم الجدة ويذهبوا، وإن خسروا يبقوا أسرى جميعهم، إلا الحوريات لم ينقذن لذلك، وأخبرن أنهن لن يقعن في الأسر بسهولة.

وهكذا بدأوا، وفازوا في المعركة. أخذوا الجدة، وأعطوهم الساحرات هدية: عدة الاختفاء والسفر عبر الزمن، وهي أقوى أشياء كانت عند السحرة، أخذوها من المدينة المفقودة الغارقة في السحر، وعادوا سالمين.

أخذته الحورية زيزيس إلى جزيرة، وهناك أغوته بسحرها، وعرضت عليه العيش هناك والزواج والحياة بسعادة. لم يكن ليمنع، لولا لعنة أنها حورية ومهمتها إغراق البحارة والسطو على البحر.

كانت تعجبه قريته أكثر، التي تعمل في المقهى، وحياة المزرعة.

أرته الحورية كنز القراصنة الذي خبأته قديمًا، وهناك وقعت عينه على خريطة المكان المحظور الذي سمع به من قبل من الأساطير. أخذ الخريطة وعدة الملاحة.

وهكذا ركب البحر مجددًا مع الحورية، وأطلق الشراع، وأمسك الربان خرائطه، وارتدى علامة القراصنة، ورفع علم القراصنة، وتوشح رداءه الأسود، وعصابة العين، وأخذ المنظار ونظر في الأفق.

كانت الحورية تقود السفينة بسلاسة ومهارة.

مرت أسابيع وهم في البحر تائهين، لم تُفك الشفرة بعد، ولكن بعد شهر من ركوب الأمواج والعواصف وجدوا الموقع بالتحديد، ولكن كان فراغًا؛ لم يكن هناك شيء.

أحس بالفشل والضياع والخسارة، ولكن الحورية أخبرته أن يطمئن، وأنها ستغوص لتعرف ما يحدث هنا.

وعندما غطست، وجدت هناك عمودًا مزركشًا بالذهب عليه طلاسمة سحرة البحر، وعرفت الترجمة: أنها الضائعة من أجل المختار، ولن يُستهلك ما دون ذلك.

رجعت إليه وأخبرته، فنزل معها. أحاطته بهالة يمكنه الغطس بها، وهكذا عندما وصل ووضع يده توهج المكان، حرك العمود دون قصد فغاص.

بدأ الطين يتحرك، وانعدمت الرؤية، ووجدوا أنفسهم بلحظات في جزيرة تعج بالحيوانات على السطح.

استعجبوا من الغابة والجبال الخضراء، وعندما دخلوا وجدوا الفواكه الغريبة، فأكلوا، فشعروا بالغثيان.

أتتهم زائرة غريبة لونها أزرق، لم تشبه لهم أي شيء شاهدوه من قبل، إلا أن الحورية عرفتھا وسلمت عليها:

– كيف حالكِ، أختي؟ أنتِ هنا؟ بحثنا عنك.

أجابت:

– لم أستطع العودة، أُلقي عليَّ اللعنة. ولكن كيف عثرتُم على هذا المكان؟ وهذه الفاكهة التي أكلتموها مسحورة.

أعطتهم القنينة التي تحمل الترياق، وشربوا السائل وتخلصوا من الغثيان.

بعدها أخذتهم إلى القبيلة التي تعيش على تلال تلك الجزيرة، يحرسون الكنز. أخبرتهم أنهم كلهم ملعونون هنا، قد لُعِنوا في انتظار المختار ليتحرروا.

وأغلبهم قراصنة يبحثون عن الكنوز، وسحرة يبحثون عن إكسير الخلود، إلا أن هناك إنسانة طيبة تحكمهم، لم يكن لها ذنب، اختُطفت من البحر، وهكذا لُعنَت هنا معهم، وهي حكيمة وطيبة.

دخلوا كهفها المزين، وعندما وصلوا كانت تنظر للفتى، فأخبرته وقالت له:

– إنك المختار، ولكن يجب عليك أن تحكم بالعدل هنا سنتين، وبعدها تحرر الجزيرة ومن فيها من اللعنة، ولكن عليك البقاء في البحر سنة أخرى تحرسها في السفينة السحرية الطائرة الكبيرة، ويمكنك اختيار طاقمك.

وافق دون تردد.

تعلم كيف تجري الحياة هناك، وهي بسيطة: يجمعون الفاكهة غير السامة، ويطعمون الحيوانات الأليفة، ويدافعون عن أنفسهم ضد المفترسات، ويغنون في الليل أغاني الحزن وأغاني القراصنة والسحرة، والسحرة أيضًا يقدمون العروض.

ولكن هناك وحش يجب أن يقدموا له الوليمة، وهي كبيرة؛ لأنه ضخم شبيه بالتنين، ويشترك الجميع في ذلك الروتين مرتين في الأسبوع.

وهكذا استلم زمام الأمور.

سألته الحورية عن طلبها مجددًا، ولكنه أخبرها أن الوقت غير مناسب لذلك، وأن عليها أن تنتظر.

بدأت الزعيمة تخبره قصصها، وكيف كان الناس يصلون إلى هنا، وكيف أنها تحاول أن تنقذهم من أن يُفترسوا من أول يوم، وأنها حاولت كسر اللعنة ولم تستطع.

سأل:

– كيف يُعرف المختار؟

قالت:

- تقول الأسطورة إن هناك من السحرة من يستطيع ذلك؛ لأن من سحروها كانوا يعيشون هنا، وأن من يفعلها يجب أن يكون من سلالته، قوياً منهم.

وأن هناك كتاب الأسطورة محفوظ للمختار، ولكن لا يمكن فتحه إلا بعد أن تتم المدة. وإن أراد السكن هنا فليسكن، وإن أراد المغادرة عليه أن يختار بديلاً لحراستها.

فهم قد جمعوا فيها ما لا يمكن أن يوصف؛ يوجد فيها كثير جدًا من الجمال والأشياء الساحرة. أنت لم ترَ شيئًا، ونحن أيضًا لم نعرف الكثير، ولكن الوحش المتكلم أخبرنا القصص، ولكنه مات؛ أصابه وحش التنين أثناء تقديم الطعام له. لم يكن يقصده، تعثرت رجله وسقط في حفرة الطعام، ودخل الوحش ليخرجه، ولكن فات الأوان، فقد كان التنين أكله هو والرجل الآخر.

وهكذا لم يبقَ لنا سوى الكتب التي لم نفهم أكثرها، ولكن القدماء وضعوا الأحاجي ليتمكنوا المختار والناس من الحضور إلى هنا، ولكن ليس ذلك بالسهولة.

بعدها مرت الأيام، وأعجب المختار بجمال وحكمة الزعيمة.

وكان لهم نهر يسمى نهر الشباب، فهم لا يشيخون ولا يموتون بسهولة لتقدم العمر.

وهكذا بدأ قراءة كتب أسلافه بعد تأكده من أنه المختار، فهناك كهف الأسلاف لا يُفتح إلا للمختار، عليه أن يقدم دمه، وإن لم يكن هو فسيموت فورًا، ولكنه نجح وفرح الكل، إلا الزعيمة، ولكنهم لم يعرفوا السبب.

ولكنها أخبرته أن عليه إما أن يمكث هنا أو يضع شخصًا آخر، وإلا سيموت في البحر، وسيرافقه الضباب والعواصف أينما ذهب، وستعود اللعنة، وستبتلع الجزيرة المزيد من الناس في البحر، ولن تنتهي إلا عندما يأتي مختار آخر.

ولكن من يعرف من سيكون؟ أو أنك الوحيد؟

لاحظ الساعة الرملية الكبيرة ذات الرمل الأحمر بدأت تتوهج.

فتح الصندوق، وإذا بروح قديمة تحدثت، وكانت تخرج لتريه نفسها، وأخبرته أنها من أسلافه، وأن ما فعلوه هو حبس الشر الذي في قاع الجزيرة. وأخبرته أن الوحوش والأشجار هناك أيضًا، وأن لا يسمح لأحد بالذهاب أسفل الهاوية، وعليه بحراسة المكان بنفسه، وأن لا يرتكب حماقة.

وأخبرته أن الزعيمة منهم، وستساعده، وأن لا يخبرها أنه علم، وأخبرته أنها وحيدة ولن تستطيع التماسك أكثر، وأن عليه أن يتزوج منها لتكون هي الأميرة المختارة، وبعدها يمكنها أن تنقذ الجزيرة معه.

وأن الجزيرة في السطح ضعيفة، تحميها البراكين فقط، وأن عليه أن يجهز جيشه؛ فهناك من يريد لها، يريد الشياطين التي فيها، والأشرار وأرواح السحرة الشريرة أيضًا.

دلّته على قلادة الحارس، أخذها فتوهجت، واختفت بعدها، ولم يستطع أن يسأل أكثر.

لم يستطع إلا أن يذهب ببوصلة القلادة، فأظهرت له الهاوية وبوابتها. وجد الذئب الضخم هناك، لم يصارعه، بل اقترب منه بحنان، وأخذ يعوي. اقترب قطيع من الذئاب والتف حوله.

أتت روح وأخبرته أنه الحارس القديم، وأن الذئاب الضخمة قد بايعته، وأخبره أنها تخرج النار من أفواهها، وترى الأرواح، ولكنها تحتاج إلى من يقودها ويرعاها، ويحتجز بها الأرواح الشريرة التي يرسلها السحرة.

وأخبره أن هناك كتاب تعاويذ وعصا لذلك الأمر، وأخبره بالمكان.

بعدها وجده، أخذه وقرأه، وعلم أنه عليه عندما يسمع عواء الذئاب أن يحضر بسرعة.

رجع بصحبة أحد الذئاب، وعندما رأته الزعيمة عرفت أنه عرف السر.

تكلّمت هي قبل أن يتكلّم، وقالت:

- هل أخبروك؟

قال:

- نعم.

- وماذا قالوا؟

أجاب:

- كل شيء.

وبدأ الحوار بينهما.

قالت:

- هل علمت لِمَ يحبسوني هنا بلعنّتهم؟ أنا لم أرد هذه الحياة. هل

تعلم كم كنت أمكث هنا أنتظر المصير؟ لماذا تركوك؟

- أَلَمْ تستطعي تجاوز الاختبار للخروج؟

قالت:

- أبي قتل نفسه من أجل إنقاذنا، وهكذا بقيت وحيدة... هذا مصيري.

قال:

- اسمعي، لدي حياة كاملة تنتظرني. متى يمكننا فعل ذلك؟ متى تُفك اللعنة؟

قالت:

- متى ما أردت استلام المهمة. عزيزي، بالنسبة لي لا يهم أي شيء يحدث؛ فأنت في النهاية ستذهب وتتركني هنا لأتعذب وحدي. في القاع سأجلس، ومن نفس الكأس، كأس الوحدة، سأشرب.

قال:

- لن أتركك هنا، سأخذك معي.

أجابت:

- لا يمكن ذلك، يقتضي أن يحرس المكان أحد.

قال:

- سأقتل من في الهاوية ونرحل، كُلِّي أمل بأني سأستطيع أن أفعل ذلك. وهكذا بدأت المراسم.

اغتارت الحورية التي كانت تحب صاحبنا، هي وأختها، وقررتا أن تُحدثا مشكلة، ولكن إحدى الملعونات اللاتي كنّ معهن سمعت، وأخبرتتهن أنهن لو فعلن أي أمر خطأ سيعاقبن، وسيحدث ذلك الأمر السيئ؛ ستبتلعهم الجزيرة، وترمي بهم في الهاوية.

إلا أن الحورية واجهت البطل وصرخت في وجهه. أخبرها أن هذا هو المصير، وإلا لن يخرجوا من هنا.

أخبرته أنها ستمكث معه إلى الأبد هنا.

أجاب:

- لا.

أخبرته أنها ستنتقم إن لم يعد لها، بعد كل شيء حدث؛ فهي التي غامرت معه وأتت معه إلى هنا وساعدته كثيرًا، ولكنه لم يسمع لها. أعجبته بنت أسلافه، ولم يعرها الانتباه، واستغرق في التفكير ليجد حل الخروج من هناك.

وافق أن تُقام المراسم، مراسم المختار. وافقت الحكيمة، قريبته.

وهكذا بدأت المراسم، وفعلوها، وظهر قصر الأسلاف من العدم، والغيلان التي فيه ألبسوهم التيجان، وظهرت كائنات ومحاربون ومحاربات من العدم، وأطياف، وراحت تهنئه، وأخبروه أنها المرحلة الأولى.

وهكذا بدأ عصر جديد في الجزيرة المهجورة التي دبت فيها الحياة. ولكن لم يتم السكون؛ فقد بدأ الهجوم.

سمع يومها بطلنا عواء الذئاب، وجد ذئبًا عند باب القصر. فركبه، وانطلقا إلى بوابة الهاوية.

وعلم أن روحًا شريرة أرسلت، أسرها فأقرت أنها أتت لتتجسس للسحرة.

حبسها في الهاوية، لأول مرة يفعل ذلك. استعجب مما رأى: وحوش وأشرار كثير، ونار ودخان، وكأنه جحيم لم يسبق له رؤيته. كانوا مقيدين.

وضع الروح في جرة ورماها هناك.

بعدها أخبر الحكيمة، وجهّز الجيش وجهّز الدفاعات.

بعد أشهر، شاهد الكشافون السفن الطائرة الشريرة السوداء تتجه نحوهم، والجمال بدأت تقذفهم بلهبها وحرارتها الملتهبة، ولم تستطع هزيمتها في النهاية.

وبعدها اصطدم الجيشان، وقارب الجيش الأسود أن يستولي على الجزيرة، ولكن البطل استجمع قواه، واستعان بقوة الأسلاف وتعويداتهم، وألقى عليهم حجارة الجبال الملتهبة مرة أخرى، وحوّل الشجر لمقاتلين، وهكذا طرد الجيش الأسود، وأسر جزءًا منهم، ووضعهم في هاوية الأسر، وهي مكان للأسرى الغزاة.

حاول استجوابهم، ولكنه وجدهم قد لعنوا ولم يستطيعوا التحدث، وبدأوا بالموت، وبعضهم رفض الطعام.

ولكن الحكيمة أعطت أحدهم دواء، وشهق، وسألته بسرعة، لكنه سكت.

أعطته وعدًا أن يعيش هنا حرًا، فأخبرهم أن القائد يريد وحشه وأميرته الساحرة وروح جده التي هنا في الجزيرة، وكان ينتظر أن تظهر الجزيرة على السطح، وهو من دل المختار على الجزيرة بعد أن سحر الحورية.

سألت:

- كيف عرفت؟

أجاب:

- أنا من الأمراء هناك، ولكن إن علم أنني تكلمت سيقتلني.

قيل له:

- اطمئن، ستمكث هنا ولن تذهب إلى أي مكان.

وبعدها سألت البطل، فأخبرها أنه قد يكذب، وأنه قد يغدر بهم، ولن يستطيع المجازفة.

ولكن أخبرته أنها أعطته مصل الحقيقة.

تركه في النهاية على أن يُعزل في كوخ، ومعه حراسة أحد الغيلان، فوافق.

أخبرت الحورية أنها قد سُحرت، وأوصلت الأمير المختار إلى الكنز، ولكن بعدها تناسوا الأمر.

وهكذا عاشوا.

بعد فترة، وُلد للأمير المختار فتى من الحكمة، وفرح الجميع واحتفلوا.

وعرف ما سيفعل: سيقتل وحوش الهاوية، وسيرحل مع الجميع، ولكن الأمر ليس بتلك السهولة. كان يعلم ذلك، ويعلم أن الجزيرة يجب أن يبقى فيها أحد، وإلا ستلعه مجدداً.

كان واثقاً أن الحكمة ستبقى، ولكن هل سيترك ابنه أم يأخذه معه؟ هل ستسمح له بأن يعيش بعيداً عنها؟ هو لا يعلم ما سيكون.

هطل مطر لأول مرة هناك، شاهد الحياة تختلف. لأول مرة يرى نهراً غير البركة الكبيرة السحرية التي يشربون منها.

أخبرته الحكمة أن هذا لم يحدث منذ عقود.

واختلط المشهد بينهم في رومانسية عتيقة.

أخبرها بمكنون قلبه وما يقلقه، فأخبرته أنها ستمكث هنا، ولكن بعد أن تذهب وترى أين سيمكث ابنها، وأخبرته أنه بعد كل ثلاث أعوام يجب أن يعود إلى هنا ويريها ابنها؛ هكذا الأسطورة وهكذا المصير.

مرت الأعوام، وأصبح وقت البحر. جهزت السفينة، ومعه الحورية وأختها إلاي، والي كادت تتحول لمسوخ؛ فهي لم تنزل البحر المالح منذ مدة.

سمح لها الأمير بالسباحة، فعاد لها تألقها وجمالها، واصطادت لهم وحش البحر، وهي سمكة كبيرة، كانت أول وليمة بحرية له وللمحاربين في السفينة.

ولكن علم أنه إن حدث هجوم سيكون ضعيفاً، وهناك سفن أخرى لجنود الجزيرة، ولكن عليه العودة إلى الشاطئ حتى تحطم الجبال العدو، وبعدها ينقض هو.

لم يصادف في مهمته سوى سفن استكشاف، أسرها وحبس طاقمها عنده.

وانقضت بعدها المدة سريعاً، وعاد.

فتح كتاب الأسرار في احتفال، وألقى التعويذة، تعويذة النهاية، وقدم القرايين.

والمفاجأة: بدأت تظهر بيوت في الجزيرة، جدته وجدته وأصحابه وكلبه أمامه، والمزرعة، وصوت الأغاني القديمة في بيت جده، والبخور للجدّة، وكل شيء يحبه.

وكانوا حوله يوقظونه:

– هيا، هل نسيت عيد ميلادك؟

استعجب، هل كان يحلم كل تلك المدة؟ هل كان غير واع؟

دبّ فيه الشك، ولكنه وجد قلادة الحكمة في يده.

وجدته الساحرة، قريته، يتأمل القلادة، فقالت له:

– من أعطاك هذه؟

أخبرها أنه لا يعرف.

قالت له:

– إنها تميمة حظ.

أتت قريته وأعطته طفلاً:

– هلاًّ تكلم طفلك؟

فزع وقال:

- من؟ وكيف؟

قالت:

- ماذا بك؟

سأل: أخبريني ما حصل بصراحة.

قالت:

- سحرتك.

- ماذا فعلتِ بعدها؟

أجابت:

- تزوجنا وأنجبنا، وفي عيد ميلادك هذا فككت اللعنة.

تساءل مجدداً:

- هل هذا صحيح؟

بدأت تضحك وتبدل شكلها:

- إنها الحكيمة.

هكذا قال.

وعادت مجددًا، وأخذت الطفل.

دخلت مجددًا قريته وقالت:

– هيا، فلتقم، يا لك من كسول.

أخذته الجدة وصديقه إلى المدينة لشراء الهدايا.

واستطاع أن يتقبل الوضع، ولكن الأسئلة حيّرتة: كيف حدث كل ذلك

ولم يلاحظ أحد حتى غيابه؟ وإن كان حقيقة، لماذا لم تترك الطفل؟

بدأت تظهر له كل فترة مرة.

سأل الجدة:

– هل لديك عروض سحرية؟

وأخبرته أنها لا تعرف عن السحر، ولا يوجد سحرة هنا.

وسأل:

- هل لديك توأم؟

أخبرته:

- لا.

وهكذا عاش، رغم تساؤلاته وحيرته، إلا أن في ذلك السكوت يكمن سرٌّ كبير.

تم له يومًا لقاء الأعجوبة: الحورية وأختها، والحكيمة، وابنهم الذي كبر. في المقهى كان يتحدث، والنادلة صديقه تأتي وتسأله:

– هل تحدث أحدًا؟ هل أنت بخير؟

أخبره أنه يمكنه أن يعيش حياته، وأنه لا وجود لهم، واختفوا.

اختفت الفلادة، احترقت في صدره، وتركت وشمًا غريبًا. شاهد ذلك من قبل في الجزيرة.

قال في نفسه: إنه وشم المختار.

سأل صديقه:

– هل ترين هذا الوشم؟

قالت:

- لا شيء.

أجابه صوت هامس:

- لا تتحدث.

فسكت، وعلم أن هناك أمرًا.

بعد فترة اختفى، توجه للطبيب النفسي، أعطاه أدوية الذهان، واستراح. بدأ الزراعة مجددًا حتى حصد، وتزوج النادلة، ومكثوا عند الجدة التي سعدت بحياكة الكنزات الصوفية للجميع.

بعد أيام، من إلحاح زينيس لطلب السفر إلى إحدى الجزر السياحية، وافق، وقالت إنها جزيرة كانت مهجورة، رُمّت وأصبحت مزارًا للسياح، عشاق المغامرة والغموض.

ذهبا، وبعد وصولهما وجد الحكيمة ترحب بهم، ومعها ابنها والحورية وأختها، كدلائل سياحيين. الأشجار نفسها، البركة، الجبال، القصور، وكل شيء.

ظهر الوشم، فسألته:

– ما هذا الوشم؟ متى قمت به؟ كنت لتعلمني، لقمت به مثلك.

وهكذا عرف أن القصة ربما تكون حقيقة، وأنهم حاولوا أن يُخفوها عنه.

تسلل ليلاً من الخيمة، وذهب نحو الهاوية، لم يجد شيئاً سوى منحدر جبلي، ولكن عند عودته سمع صوت عواء، وتوهج الوشم. عاد، لم يجد شيئاً.

توجه لقصر الحكيمة، أخبره الحرس أن هذا ممنوع، ولكنه أصر، فقفز من السور خلسة، وقُبض عليه في الردهة، ولكن الحكيمة تداركت الوضع، وأذنت له بالجلوس في جناح الضيوف. سألته:

– ما بك؟

أراها الوشم، وحكى القصة.

أخبرته أن القصة حقيقية، وسألته:

– ماذا تريد؟

قال:

– أين ابني؟

أجابت:

- ليس لك به دعوى.

قال:

- أنا المختار، كنت هنا كذلك، لماذا تعامليني هكذا؟

ردت:

- لا أدري. اذهب لصاحبتك.

تساءل:

– هل هذا هو السبب؟

ردت:

- لا، ولكن ليس لك دعوى بنا. لماذا أتيت أصلاً؟ يا لوقاحتك!

أجاب:

- لا أدري، هو القدر. لماذا تحاولون التكتم على الأمر؟

أشارت في الهواء بإصبعها، وقالت:

- ارجع الآن.

فجأة، استيقظ صديقنا في الخيمة، وصديقه تخبره:

- ما بك؟

أجاب:

- كان حلمًا فقط، لا تقلقي.

بدأت الجولة، ولكن كل شيء اختلف؛ لم تكن نفس الجزيرة، وليس

هناك الحوريات ولا الحكيمه ولا أي شيء مما قيل.

أكملوا الجولة وعادوا.

بحث عن صناديقه السرية، لم يجد شيئاً، ولا وشم ولا قدرات، وقرر

السفر إلى الأماكن التي قصدها من قبل.

أخبر جدته ببعض من شكوكه، فأخبرته قائلة:

– إنك منذ جئت لم تبارح البلدة سوى للمستشفى مع جدك، ومرة
أصبت بحادثة، وكنت في غيبوبة.

نسي الأمر، وسأل نفسه: ماذا عن مهلة المختار ليعود للجزيرة؟ لم
يجد ردًا.

في داخله، هو ببساطة لا يعلم شيئًا، لا يدري حتى ما هي الحقيقة.
وبعد فترة، اقترح عليه الجد السفر لتغيير الأجواء وحده؛ لأنه وجدته
دائمًا شاردًا، كثير التفكير في اللاشيء.

وفعلًا سافر إلى المدينة التي أخبرته جدته أن يذهب إليها؛ كانت أمه
تعيش هناك من قبل لتدرس.

ذهب، وبالتحديد إلى البيت الذي كانت تقطنه، وجد الجدة الساحرة
هناك.

سألته:

– أين أنت؟ لماذا تأخرت؟ قلقت عليك. كيف تمكنوا منك؟ من أمر
الجزيرة؟

سأل:

- هل هذا كله صحيح؟

أجابت:

- نعم يا بني.

- ما كان عليك فعل ذلك، فتحت علينا أبواب الجحيم. كنت مع الجيش الأسود أحاول تخليصك.

فجأة تحولت الجدة لأمه، ثم الحورية، ثم الحكيمة، ثم فجأة شخص كبير في السن يسأله:

- هل أنت بخير يا بني؟

تدارك نفسه وتلعثم، لكنه سأل بسرعة بديهية:

- هل أنت العم غاليبون؟

أجاب العم:

- نعم، تفضل.

وهكذا، عندما وصل غرفته، كان العم وحيداً، ولكنه شغوف بالكتب، خصوصاً القديمة.

ذهب معه إلى الأماكن المقدسة والمزارات، وعاش أياماً جميلة، زار مدرسة وكلية أمه، وحكوا له عنها، عن تفانيها واحترامها للآخرين. وأخذ تذكاراتها وعاد.

ولكنه توجه للعم غاليبون وسأله:

– هل من عروض سحرية هنا؟

أخبره أنها ممنوعة.

عاد أدراجه دون أي شيء. وفي الطريق رأى نوراً في الأفق، فنزل ليستكشف، دخل الغابة، وجد أناساً جالسين بجوار نار، ينفذون خدعاً على النار.

في البداية استغربوا من وجوده فجأة في ذلك المكان، ثم رحبوا به.

سألهم من علمهم السحر، وأنه يريد أن يتعلم.

أخبروه أنه مؤخراً حظرت السلطات العروض، وأعادت النظر في الأمر، وصرحت أن الأمر خطير، لذلك حُظر.

همّت الجماعة في أخذه معهم إلى دارهم ليعلموه، بعد إلحاحه الكثير.
ذهب معهم إلى القصر الكبير المهجور، وجد عجوزًا، وهو كبيرهم.
كانت مجموعة مهبدة في معانيها للسحر، وعلموه ما يريد.
قرر أن يخبرهم القصة، لم يصدق أحد، وأخبروه أنهم لم يسمعوا
بذلك من قبل.

أخبره العجوز أن لا يبحث.

خرج من هناك، وعاد لجده الذي عانى من المزرعة وحده.

استقبلته قريته، وعاش أيامًا سعيدة.

يومًا ما، وجد بعض الخرفان مهشمة ومقطعة، اقتفى الأثر، ووصل
للغابة، ووجد الذئاب الضخمة هناك. لم تهاجمه.

عرف أن الأمر حقيقة، وأن الهاوية موجودة، والجزيرة وكل شيء، وأن
اللعة انفكت.

جلست الذئاب هناك فترة، كان يتفقدوها، ولم تهاجم على المزرعة، بل
أكلت المفترسات الأخرى، ثم اختفت بعدها.

قرر السفر مجدداً، إلا أن جده والجدة لم يوافقا، فحزن، لكنه جلس
يواسي نفسه بالقراءة.

أعطته الجدة كتاباً، وجد فيه نفس الوشم. قرأه، ووجد وصية
الأسلاف:

«لا تبحث إلا إن كنت مستعداً، فاحذر، الأشرار كثر. خلّصت الشر-
الذي هناك، ولكن ما في الأنفس الأخرى أنت لا تستطيع رده، عد إن
رغبت، ولكن لن تستطيع فعل شيء».

ووجد بعض الخدع ليحمي نفسه بها، حفظها، وعندما ختمها اختفى
كل شيء من أمامه.

أنته الجدة ومجموعتها، وأخبرته، واعترفت له أن الأمر حقيقي، وعليه
أن لا يتشوش ويعود حاله للأسوأ، وعليه أن يعيش حياته، وأن يتدارك
الأمر الجيدة التي حوله.

رغم حاجته للمغامرة، إلا أن المزيد من المشاكل قد تحدث إن عاد؛
فالأشرار الآن يريدون دم المختار.

وتعهدت له بالحماية، وأخبرته أن الحكمة والحوريات ليسوا في صفه، وعليه أن يعتمد على نفسه، ويعود إلى واقعه، ويعيش حياته، وينتصر بكل قوة على الشر؛ فهو المختار الذي سيحررهم من الشر.

أخبرهم أن يعلموه ما المطلوب، فأخبروه بأمر التخلص من الحكمة؛ فهي في الأصل استولت على الجزيرة واستغلته.

وهكذا ذهبوا للجيش الأسود، وجد العم غاليون هناك حيًا، وعجوز السحرة، وصديقه من القرية، إلا قريته.

وأعدّوا عدتهم، وذهبوا للحرب.

لم تكن الحكمة تعلم أن الجزيرة ستهاجم، فأهملت الدفاعات، والسحر قد اختفى من هناك، وأصبح المكان موحشًا من الإهمال. كانت تحميه بسحرها وجيشها.

كانت المعركة يومها محتدمة ومرهقة للطرفين، ولكن انتصر. يومها الجيش الأسود، وأسروا الحكمة، وأخذوا ابنها، وعادت الجزيرة كما هي بلا محتل ساحر لها.

وعندما همّوا بالرحيل، لم يجدوا سوى العم غاليون وعجوز السحرة أمناء عليها.

وُقُتِلَتِ الحوريات في المعركة، طالبت بهم ملكتهم، وأخبرت أنهن عصينها من البداية ولم يعدن لها، وأن دافعهن كان الانتقام من المختار.

تخلصوا من كل الشر- دفعة واحدة، وعادوا إلى أماكنهم المفضلة، وأذابوا جليد الحياة.

اعتذرت الحكيمة، لكنهم لم يضمنوها في ذلك، وأخذوا الابن.

أخبر قريته أنهم سيربونه، ولم يخبرهم أنه ابنه، فوافقت. كانت حنونة وشغوفة بالتربية، واعتنت به.

قرر أن لا يجعله ساحرًا كما هو مقدر له، وأن يجعله عالمًا أو ما شابه ذلك.

عندما كبر قليلًا، أدخله المدرسة.

أخذت الجدة زمام الأمور في التربية، وأغدقته بالحنان، وأسر الأسرة بذكائه.

مات الجد بعد ذلك، وبجزن واروه الثرى.

وأعاد الفتى الزراعة وتطوير المزرعة، وأتى بعمال لأول مرة في تاريخ المزرعة.

وتعلم الصبر في إدارة المزرعة، وأعاد النظر في حياته، وتربية ابنه، والاعتناء بقريته.

عندما زار الجزيرة مرةً أخرى مع جدته، وجدا الأمناء مأسورين، وقد استولى عليها جيش الظلام، وأعادوا السحر هناك، وما زالت الحكمة مأسورة.

رجعوا إلى الجيش الأسود، وأعادوا الجزيرة.

قرر المكوث هناك. أخبرته الحكمة أنها تريد شرف الحماية لجزيرتها. لم يثقوا فيها، ولكن قرروا تجربتها، لعلها تعود من شرها إلى الأفضل، وبالفعل نجحت.

أخبرتهم أنها تريد الذهاب لرؤية ابنها، وأنه لم يبقَ لها الكثير. وفعلت المستحيل لإقناعهم، وذهبوا بها.

جلست الجدة في الجزيرة مع جيشها الأسود، ووجدت الحكمة ابنها قد كبر وتعلم، وأذهلتها الحياة هناك، وحياة المزرعة.

تعاونت مع قريبة المختار في الاعتناء بالبيت الريفي، وأذهلتها طريقة الزراعة، فتعلمتها، وأذهلت الجميع في الجزيرة بطرق الزراعة الجديدة، بعد أن عادت حاكمة لها، وعاد الزوار، وجيشها المكوّن من الذين كانوا قد لُعنوا هناك.

وقد عاد معها عصر نهضة الجزيرة.

وهكذا حُلّت للمختار قضيته الكبيرة، ولكن الأمور باتت أكثر إثارة عندما علّمت الجدة إحدى حيلها البسيطة للصبي.

سعدت الأم، والتي بات لها ابنان، تربّيهما بحنانٍ وحب، وتجنبت القسوة معهما، ولكن أخبرت الصبي أن لا يخبر أباه عن حيل السحر التي تعلمها.

وفجأة ظهر له الوشم، عندما عاد أبوه من الصيد. وجد الوشم عند الصبي، فتحيّر وأحسّ بالشؤم.

سأل الجدة، فقالت:

- هذا وعد المختار.

ولم تعد لتتكلم بالأمر، وهو تعلّم السحر.

حدثت بعدها مشكلة مع سحرة الشمال، وأقاموا الحجة بإحضار المختار لحلها، وأقاموا له وليمة، وعاهدوه بالطاعة ليحل الخلاف بينهم؛ فقطيعتهم لبعض، ومشكلتهم لها عقود، وهي من يحكم الشمال ومن الأقوى.

أخبرهم أن يتصاهروا ويتركوا الخلاف، وهكذا حلوا المشكلة، ربما للأبد.

شغل منصبه، وكان حكيماً ومختاراً ببراعة، واحترمه مجتمع السحر. قررت الجدة سرّاً تعليم ابنه حياً أكثر، وبدأت فعلاً دون علم المختار، الذي كان رافضاً أن يكون ابنه ساحراً.

أخذته برحلة إلى الساحر الأعظم، وأخبرت أباه أنها تريد زيارة مزرعة ما، وأخذت تعلّمه هناك ما استطاعت، وعملت على أن تراه أفضل؛ فهو قد كبر ليكون خلف المختار.

وتعلّم بسرعة من الساحر الأعظم، وأعاد النظر في الأمور التي يريدها الفتى، وأصبح يريد أن يكون ساحراً عظيماً مثل من شاهد.

عند العودة، لم يره أحد في حالاته السحرية، لا أبوه ولا أمه، ولكن يوماً ما شاهدته أمه يحرك الأشياء، فقالت:

– ما هذا؟

ولكنه أنكر.

حرّكت الطاولة، وأخبرته ببراءة:

– أنت لا يمكنك خداعي، أو عمل خدع أقوى مني في السحر. لا تقلق،
لن أخبر والدك، وأنت أيضًا لا تخبر أحدًا.

لم يعلم أنها أمه الحكيمة؛ فقد أخبرتها الأرواح التي ترسل لها أخبار
ابنها وما تعلّم من سحر.

أعطته تميمة خرز في يده، كانت سحرية من الجزيرة وقوية للحماية.

أخبرته أنه لو توهجت، عليه أن يتمنى أي شيء، وسوف يتحقق، وأنها
ستزيد سحره وتقويه.

وهكذا بدأ العمل بأقوى ما لديه، ليتعلم من الجدة التي تفرغت له،
وبدأ يصبح أقوى.

وعندما غاب أبوه في الجنوب، حمى هو والجدة المزرعة من الأرواح
الشريرة، وكان ماهرًا في ذلك.

تعلّم، وبات له قوة هائلة.

وعند موعد زيارة الجزيرة، أقنعت الجدة أباه بضرورة أخذه معهم،
وأيضًا كل الأسرة لتذهب إلى هناك للسياحة، فباتت الجزيرة قبله
للسياح، والأرواح التائهة أيضًا.

عند وصولهم، استقبلتهم الحكيمة فرحة.

أذهل الفتى أباه بصعود الجبل بسرعة، فرمق الخرزة تتوهج.

سأله:

– من أعطاك هذه؟

أخبره أنها من أمه.

علم أن أمرًا حدث، فسكت.

وتمنى الفتى أن يوافق أباه أن يعلمه الخدع السحرية، وسار نحو أبيه
وأخبره أنه رأى حلمًا أنه يصبح ساحرًا.

قال له أبوه:

– إنه مجرد كابوس لا أكثر.

وتوجه للحصن القديم هو وابنه، فقد كان هذا القصر. الذي وُلد فيه
الابن.

وشت الجدران بما حصل، وتكلم كل شيء بالقصة.

لم يستطع الأب أن يوقف الابن، فأخبر الابن أنه يعلم كيف يوقف الأمر، فأوقفه.

سأله:

- كيف تعلّمت؟

فأخبره:

- الساحر الأعظم والجدة.

لم يغضب كما توقع الفتى، بل أعجب بما حصل، وتنازل رغم انزعاجه عن كل ما تم.

عاد إلى الجدة وسألها، فأخبرته أنه الأمر المحتم ليكون ابنهم الأفضل.

وأقاموا بالجزيرة طيلة الشتاء، وأعادوا النظر في الأمور المستحيلة التي قاموا بها، وتحاكوا وتسامروا فيما بينهم عند نار الشتاء الدافئة.

عادوا أدراجهم في الربيع، أزهرت الأشجار، وتغيّر الوضع.

سمحت القرية بالإعمار واستقبال المزيد، وأقيمت العروض المسرحية والأوبرا، والجميع قد سعد.

كان تحولاً جميلاً، وأقاموا أفراح الربيع، وسعدوا.

وهكذا كان الابن المختار سعيداً هو وإخوته.

بعد العودة إلى المدرسة، أشاد المعلم بتفوقهم أمام أقرانهم، ومنتعة القراءة كانت عندهم مفيدة للغاية.

وأعاد الفتى صياغة كتاب للسحر يخص المبتدئين عند الجدة بذكائه وفطنته.

وأقيم للأولاد عرض مسرحي وسحري في فناء المدرسة، عوقب؛ لأن السحر ممنوع، لكن الجميع تمتع، حتى الأساتذة الذين حضروا، وأعادوا ترتيب الحصص سرّاً ليكون سحرهم سرّاً بعيداً عن المدير.

واستمتع الجميع.

كان التحدي أن يذهب إلى سحرة الجنوب مع أبيه لحضور مناسبة هناك.

تحداه أحدهم وهزمه؛ فقد كان متمرساً، ولكن أباه واساه، وأنه سيكون الأفضل على الإطلاق، وسيهزم الجميع.

لعب دورًا مهمًا في الاجتماع بأبناء السحرة، وشرف أباه، رغم أنه خسر أمام غريمه، ولكنه سرعان ما استعاد مكانه في الاجتماع الذي هيمن فيه الصمت.

وخطب بينهم عن ضرورة توحيد بعضهم، والتعلم من بعضهم البعض، ليس للتفاخر، بل ليكونوا الأفضل.

وقدّر أن ينتهي اللقاء، وسرّ الأب بالابن، وأخذه معه في كل لقاءاته بالسحرة.

ولكن كانت الصدمة عندما مرضت الحكيمة، وذهبوا ليلتقوا بها.

أخبرت الحكاية للابن، والأب كان غير موجود، وبعدها توفيت.

ولم يكن من الأب إلا أن يبقى هناك لإدارة الجزيرة، ويذهب الابن لرعاية إخوته وأمه وجدته.

أخبر الابن أباه أنه علم الحقيقة، فصدّم الأب، ولكنه أخبره أن لا يخبر أحدًا.

عاد إلى الأسرة، وأذهل الجميع في تفانيه في العمل في المزرعة فترة الصيف، وفي فترة المدرسة اجتهد أيضًا.

سمع أباه الأخبار وسعد به، وانتظر مواعده ليحصل على فرصة للسفر إليه.

وبالفعل، في الصيف التالي زار الابن أباه في الجزيرة، وأقيم له حفل.

حضرت الجنيات، جنيات الربيع، لأول مرة يظهرن، وأخبرنه إن أراد سيحضرن له في أي وقت وفي أي مكان ليعملن له ما أراد.

كنّ ظريفات معه، وأعطينه الهدايا، وسافرن به في مملكتهن في الجزيرة.

وكانت من مهامهن الحفاظ على جمال الأزهار في الربيع، وجمال الغابة الماطرة، وبركة الحياة.

واستحم في البركة لأول مرة، فأصبح أقوى بعدها وانتشى.

وذهب معهم إلى القصر، جاءت ملكتهم، وأعطته بعض القوى السحرية لرؤية الأطياف الساحرة، والأرواح، والسحر الطبيعي في الزراعة، وهذا ما كان يريده.

عاد من عند أبيه، الذي قتلته الوحدة هناك، وأصبح يكبر في السن.

لم يعد للقرية إلا عندما أخبروه بمرض الجدة.

كان هناك أحد القراصنة قد تعلم السحر وأمّره على الجزيرة.

ذهب، فوجد الجدة تعاني؛ فقد تلبسها السحر الأسود الجليدي.

لم يفهم كيف، ولكن علم أن هناك من ساحرات الجليد أرادت أن تسرق ابن المختار.

واجهتها، وعلم أنه لا بد أن يواجههم، ولكن متى وأين لا يدري.

لم يسبق لأحد أن ذهب إلى هناك؛ فلا يحتمل أحد برد الجليد والزمهرير هناك، فهو يجمد كل من يصل هناك ويموت قبل أن يخطو خطوة واحدة.

أخذهم إلى الجزيرة، كان قلقًا من أن تعلم قريته ما يحصل، أو ابنها العادي، ولكنه جازف بالفعل وذهب بهم.

عالجت الجدة ببركة الحياة، وتخلصت من السم والسحر، وقررت الانتقام.

هي، كساحرة وجدة، لم تكن سهلة.

استدعت الجيش الأسود، وأسود البحر البعيد، واجتمعت بهم، والساحر الكبير.

أرسلت لهم الأرواح تناديهـم، فـحضروا، وأعلنوا أنهم جاهزون.

ولكن كيف سيصلون إلى أرض الجليـد ويقاـتلون، ولا يفتك بهـم من هناك، وينتصرون ويعودون أحياء؟

أخبرتـهم أن المهمة خطيرة، وأنهم يستطيعون تهـديدهم حتى لا يقتربوا، وأنهم الوحيدون القادرون على الوصول إليهم.

ستستعين بثعالب الجليـد هناك لفتح الطريق؛ إنها تعويـذة سحرية تعلمتها من أسلافها.

وسافروا ومعهم جيش المختار. أخليت الجزيرة، ولم يبقَ فيها إلا القليل، وكان ذلك الأمر الضروري للنجاح هو حماية الجنيات والذئاب لابنه وأسرته، وقارب النجاة السحري بين أيديهم.

استغلَّ الفترة بعضُ قراصنة السحر وهاجموا، واستطاعت حمايات الجزيرة السحرية هزمهم. لم ترَ أمُّ الأبناء سحرًا مثل ذلك لأول مرة، لم تَعِ ما يحصل. تشكَّلت لها إحدى الجنيات كمواطنة، وأخبرتـها أنها ظواهر طبيعية عادية تحدث، وخبَّأتهم. لم ترَ الذئاب تحميهم، ولكن مهمة المختار كانت عويصة.

وصلوا أرض الصقيع، وقاربوا على التجمُّد. هناك حضَّرت الجدة النار، واستدفؤوا، وعبروا بثعالب البحر الدفاعات الأولى التي اصطدموا بها. ولكن الجدة كانت ذكية، استدعت تنين الجليد وجمَّد الدفاعات الأخرى.

أحسَّ السحرة بالخطر؛ فقد ظهرت لهم سفن الجيش الطائر، وظنوا أنها النهاية. أرسلت الطيور النارية والتنانين تحوم حولهم بعرضٍ مرعب، وانسحبوا برسالة:

— لا تعودوا، ولا تتحدّونا، ستنتهون جميعكم في النهاية، وسينتهي عصر الجليد.

قامت النار وذوّبت الجبل الجليدي الذي كان بينهم وبين السحرة، واختفت السفن المشعة ووحوشها. شارك كل السحرة في تلك الخدعة.

عادوا، وصادفوا الجيش الحر متحرِّكاً للشمال للعرض بسفنهم. أعادوا السفن للبحر بدل الطيران، وقام الجيش بالتفتيش واشتبه فيهم، ولكن في النهاية تركوهم وعادوا إلى اجزيرة قبل احتلالها من قبل جيش الظلام. وجد المختار ابنه والذئاب يصارعون السحرة، ويقولون له:

– سَلِّمَ الكنز، سَلِّمَ نفسك.

أبدى شجاعة، رغم أن لا حول له ولا قوة. أنقذ الأب الوضع، واستطاع دحر العدو، وأتمّ السلام بالجزيرة.

عادت الجدة وأولادها للقرية، فوجدت المزرعة مُدمّرة، واختفى القطيع. قامت ساحرات الجليد بتخريب أي شيء، ووجدت الكلب مُجمّدًا وعليه رسالة:

– نحن لا نخشاك، أعطنا ما نريد.

علمت أن الأمر لن ينتهي، ولم تخبر المختار بالأمر حتى لا يقلق. أعادت الترميم، واشترت الماشية، واستأجرت من يزرع ويحصد، وأخذت ابنها للجماعة؛ ليتعلم أكثر منهم الحكمة في أن يكون ساحرًا.

بدأ يتعلم ويهتدي أكثر لأمر السحر التي تعلمها منهم، بات يتقن كثيرًا من الأساليب الناجحة، وكيف يحمي نفسه ومن يحب.

استأذن الجدة أن يعلم أخاه، ولكنها رفضت، وأخبرته أن أمه أيضًا كانت ساحرة، ولكنها أوقفت تلك الأمور عندما ماتت أمها بالنار التي أشعلتها بالصدفة، ومنذ يومها نسي أن هناك ساحرًا، ولا نريد أن نصدمها، ولا نغيّر في الأوضاع هنا، حتى أبوك لا يعرف قصتها كاملة.

احذر، قد يسري السحر حتى في المختار، واللغات موجودة، فاحذر من قوتك قبل ضعفك، وهذب نفسك، وتحلّ بالحكمة لتصبح عظيمًا في زمانك.

أقلته الجدة للمدرسة هو وأخاه، كان عامه الأخير، وتوَّب للنجاح، وعاد ودخل الجامعة.

أقام السحرة أكاديمية سرية لتعليم سحر العروض فقط. لم تناسبه الفكرة للذهاب؛ فهو يريد أكثر من ذلك. أقنعتة الجدة أن يتفائل؛ فكلهم سحرة عروض، يجب أن يتعلمها كلها سنة ويتخرج.

ذهب، وأدهش بالأمر، كان الأمر منظمًا وسحريًا. تعلم هناك، وتعلم السحر في العروض، والتقى له صديقة اسمها ليلي، وكانت الأفضل، تعلم منها الكثير، وصديقه جورجي أيضًا، ولكنه كان الأفضل في المدرسة.

عرف الجميع أنه ابن المختار، فأحاطه الأساتذة بالعلم، ولم يبخلوا عليه، ونصحوه أن يجتهد أكثر.

زارته الجدة، وأعطته الكعك المعهود، وهكذا كانت حياة الفتى تتوهج. أحب الأكاديمية، ولكن أباه في الجانب المقابل يحتار

بوحده، ولا يمكنه أن يغادر؛ لأن الأعداء ينتظرون الفرصة، كان أميرًا ملعونًا بالوحدة.

كانت قريته تعلم أنه يعمل هناك فقط، ولكنه قرر المجازفة، لم يعلم أحد بسفره خشية الوشاية، وذهب للقرية.

أخبرته قريته أن ابنه في أكاديمية ما يتعلم علوم الطبيعة ويتعلم الصيد، وكانت تضحك:

– ألم يكبر وأصبح رجلًا يتعلم أمور الرجال؟

ذهبت الجدة لزيارته، أقام الليل هناك، وذهب للأكاديمية في اليوم التالي كساحر حكيم يتنقل بالسحر حتى يصل بسرعة.

وجد ابنه يقدم أحد العروض في المسرح، والجدة في أول الصف، وجلس متخفيًا. أجاد ابنه وأصدقاؤه العرض، وصفق الجميع، وانبهر.

وعندما حاول العودة أمسك به الابن، علم من هو، أصبح ماهرًا في قراءة الآخرين، وذهب به إلى كبير الأساتذة، وأعلمه بأنه أبيه المختار وهو هنا معه.

رَحَّب به، وأعلم الجميع في المدرسة أن يصطفوا ترحيبًا به، كان العرض الأروع. أراهم المختار بعض الخدع، وتبرع بمالٍ كان أخذه للاحتياط، ولكنه تعجَّل في الذهاب بعدها.

عندما عاد، وجد الجنيات يبحثن عنه، لديهن مشكلة مع الذئاب، ممن أي أحد من أن يعبر للتلال التي فيها بركة الحياة، وهي امتياز الساكنين الأصليين الذين كانوا مع المختار.

وذهب، ووجد أن الذئاب فقدت أحدها في ذلك الطريق. علم أن أمرًا مزعجًا سيحدث. هذه الذئاب وبرها وحده سحري، وعيناها تخرقان الطبيعة، من يسخرها يفوز بجائزة، وكانت نادرة جدًا، ومن فصيلة أسطورية في كتب السحر، تم تهجينها بالسحر.

بدأ البحث، اقتفى الأثر مع ذئابه إلى آخر الجزيرة، وجد آثار مركب قد رحلت، طار بالطائر السحري، وجد سفن الأعداء بالضباب السحري.

عاد، وحشد القوى السحرية وهاجمهم. استطاعت الغيلان الطائرة انتزاع الذئب الجريح من السفينة قبل أن تتحطم.

لم يكن الأعداء كثيرًا، ولكن سحرهم كان قويًا بما يكفي للتسلل دون أن تكشفهم الدفاعات.

عاد بالذئب، عالجته الجنيات، وعاد للقطيع. أعطاهم مهمة حماية الحدود الخلفية، لا يريد للسياح رؤية هذه الأحجام في المقدمة.

في قانون السحرة، لا يمكن التعرض لغير السحرة أبدًا.

كان حلم الفتى في الأكاديمية أن يوحد السحرة وتنتهي الخلافات. وهكذا بدأ عصر التجديد عند السحرة، كلٌّ يختار خليفة.

اختار الساحر الأعظم ابن المختار، حمله بالبساط السحري إلى كهفه، أراه عجائبه، وأخبره أنه لا يستطيع المكوث هنا، وعليه العودة.

أراه السر: يمكنك أن تكون في أي مكان وتكون ساحرًا عظيمًا، أنا اخترت العزلة، ولكن يمكنك المكوث أينما تكون، فقط احفظ عهد إنقاذ الطيبين والعدل والحكمة والمسؤولية، كنسان أولًا ثم كساحر عظيم تحفظ التوازن، فهل اتفقنا؟

وافق، ولكن أخبره أن يستشير أباه. قال:

– هذه الأمور لا تحتاج إلى إذن، هي تسري في العروق، أنت ابن المختار، وعليك التحمل وإنفاذ مهمتك، لم تختار، ولكن عليك التأقلم.

وافق الفتى، بدأ التعليم، كان شديداً، لم يتخيل أن يكون هكذا،
وذهب إلى أقصى ما لديه، ونجح في النهاية وتآلق.

أعجب به الساحر كتلميذ له، وتخرج، أعطاه صندوقه السحري،
وأعطاه واجبه أن يلبي طلب أي مهمة سحرية طيبة، وإنقاذ الجميع،
والتزام القانون وطريق الحق.

غادر إلى أبيه ببساطه الطائر، استقبله بمحبة وفرحة، وأخبره ما
حصل، وأنه الآن ساحر عظيم.

جهز له مكاناً معه، ولكنه أخبره أن عليه العودة لأمه وأخيه والجدة،
وأن عليه أن يدرس الجامعة ليتخرج بوظيفة، ويحب الزراعة.

عاد، ودخل الجامعة المحلية، وكان ممتازاً، يكمل مهام السحر ويعود
ليدرس. ساعد الساحر الأعظم معلمه، وحصل على الشهادة التي
يريد.

عاد للمزرعة، وبدأ العمل بسحره مع الطبيعة، أدى عملاً رائعاً، وأدى
واجبه كابن صالح، وساعد القرية لتزدهر، والتي قرر أن تصبح مدينة
رغم عزلتها السابقة.

إلا أن العمدة أراد أكثر من ذلك، مجلس القرية لم يوافق، ذهبوا لإيقاف المعمار الجديد؛ لأن القرية معتزة لسبب، لتحافظ على عراقتها ضمن هوجاء الحياة المعاصرة.

كان يحاول مساعدة العمدة؛ فهو ليس من الذين يدعمون تأخير المعمار، بل يريد رؤية حياة جديدة لقريته التي تربى فيها.

رغم الانتقاد الشديد، شُيّدت الأبراج الجديدة، كان العمال يأتون صباحًا، يجدون نصف العمل أنجز، يأخذون حقهم ويرحلون.

كان الساحر وجنيات الربيع يبنون في حلول الليل، مما سرّع البناء. وهكذا بدأت حياة جديدة للقرية.

افتُتحت المباني الجديدة، وأعطى العمدة المفتاح، وسعد الجميع، إلا مجلس القرية، كانوا يعتبرونه خرقًا لقانون القرية القديم الذي تعاهدوا على حمايته، ولكنهم الآن جنود قدماء، وهناك جنود جدد في الساحة للعمران، فأبوا أن يُحبطوهم، بل ساعدوهم بالخبرة.

واختير سكان جدد من بين السكان: عازفة الكمان، وأختها عازفة الفلوت، رامسي ورميسي.

أحبّ الفتى طابع رامسي- الطيب وتفاؤلها. غنّت أوركسترا المسرح، وكانت معهم، تعرّف عليها بعد الحفل، وأحب أن يريها جانب القرية المشرق: حديقة أزهار الربيع التي أحضر لها الجنيات لرعايتها سرًا، وكنّ متعبات؛ لأنهن بعيدات عن موطنهن الأصلي، ولكن تحمّلن.

عزفت الكمان هناك، وكان عزفها رائعًا، وأطربت الجنيات، قدّمن لها عرضًا ساحرًا وباركنها، واخترنها وصيفة وصديقة لهن، فقد علمن أنها أعجبت المختار. استغربت في البداية، لكنها كانت حاملة، وهكذا كان يعجبها السحر.

أراها الساحر بعض الخدع، وركبها بساطه، وأراها القرية من أعلى السحاب، وعرفها بمكان سكنه، مزرعته السعيدة، وأعادها لمكانها. كانت أختها تنتظرها ببوابة المسرح قلقة، أوصلهن إلى البيت الجديد، وعاد فرحًا.

سألته أمه عن سبب الفرح، لم يتحدث، قال:

— لا شيء.

علمت أن أمرًا حدث، إنه الحب يخترق حتى قلب الساحر المتلاعب بكل شيء، ولكن هناك ما تلاعب بقلبه ذلك اليوم، ربما صوت الكمان

المعزوف باحترافية، عبث بأنامل قلبه وخياله كساحر، وسحرته بدلاً من أن يسحرها هو.

أمضى الليل يحكي لشقيقه الأصغر حكايته الطويلة، وما سمعه من لحن عذب في الحديقة. كان أخوه يعلم أنه ساحر، علّمه بعض الحيل الخفيفة من دون علم الأم.

وفي الصباح، ذهب إلى المدينة، إلى مكان معهد الموسيقى، استمع للصف يعزف، يسمح للجمهور بذلك. شاهد الحبيبة كيف أنها تعزف ببراعة مع الصف بأكمله، وهكذا اختفى قبل أن يخرجوا.

تعرفت عليه من بعيد رغم الزحام الكثير من المارة في السوق، كان يتبعها لا يدري لماذا، لا يريد أن يظهر لها شغفه بها، لذلك تحير.

حكي لشقيقه ما حصل، اقترح الذهاب لحفلة الأوبرا القادمة. كانت هناك، وأختها، والتقى، وذهبا للحديقة للتنزه، وهناك اعترف لها بحبه وحبه لموسيقاها.

هربت، لحقتها أختها، وهمّ بلحاقهما، ولكن أخوه أمسك به وأخبره أن يتركها للوقت. بعدها كان يظن أنه ارتكب خطأ، ولكنه فوجئ بعد مضي شهر بأنها تقف أمام المزرعة وهو يزرع، وتعزف أنشودة الربيع

المعروفة، وهي موسيقى حب عتيقة لقصة حب قديمة معروفة عندهم.

أوقف آلة الحصاد وذهب إليها، وعندما التقاها عوت الذئاب من الجهة الأخرى. أخبرها أن تنتظره، ولكنها لحقته. رآته يصارع وحشًا وساحرًا آخر يوجه الوحش، والذئاب منشغلة أيضًا.

فاز، ورحل الشرير، ووحشه نهشته الذئاب والوحوش الأخرى، وكان عشائها ذلك اليوم. لاحظها بين الأشجار تلتقط أنفاسها وتراقبه، فأخذها على ظهر الذئب ووصلا المزرعة.

لاحظتها الجدة، تدخلت، وتعرّفت بها، وعرّفتها بالمزرعة والبيت. شغلتها الجدة والأم، ولم يُعط مساحة ليأخذ معها وقتًا.

سألتها الجدة على انفراد في مشغل حياكتها:

– هل تعرفتِ بابني الساحر؟ إنه بطل، ولكني أخشى- عليه، فهو وحيد، ولا يعلم أحد ما سيحل به.

أخبرتها أنها ستكون صديقة وفية له.

وهكذا بعدها أعادها لدرس الموسيقى خاصتها، وعاد لينتظرها في المقهى المجاور للمعهد. بعد أن انتهت، انضمت إليه، وذهبا لزيارة المكتبة.

كان هناك كتاب نوتات قديم اشتراه لها، وابتاعت له قصيدة "الساحر سيرخوس"، وهو أشهر شاعر في المدينة، وعادا أدراجهما. قرأ الشعر وكأنه يتنبأ به؛ كان عن البطل المختار الذي يخلص محبوبته من أحضان الوحش الشرير، وتزوره الساحرة وتسحره ليتبعها، فتظل تبحث عنه، وبعد أن يصبح ساحرًا ينساها، فيصبح ساحرًا قويًا بعد أن يلاقيها فتلين ما في قلبه من جديد، ويتودد لها.

وبعدها توقظه أمه من أحلامه وتقول:

– أبوك مجروح ينزف في الخارج.

ذهب، ووجد أباه في الخارج، والجدة تصرخ:

– سأنتقم، ساحرات الجليد فعلنها مجددًا، احتلوا الجزيرة وقتلوا ودمّروا كل شيء، إنه الواجب أن ننقم!

أدخلوا أباهم ليعتنوا به بجرح الساحر، وقرر الفتى حشد القوى. كان معه الجنيات، وبعض الذئاب، وبعض الغيلان في القصر. المهجور،

وقوة الساحر العظيم، وتنين الكهوف ذو العشرة رؤوس والأربعة أجنحة.

حشد ما لديه، أخبرته الجدة أن هذا لا يكفي، ولكنه غامر واتجه إلى هناك. عزفت لهم رامسي- موسيقى الوداع، وذهب وحده بجيشه الصغير، أملاً أن تتعرّف عليه الجزيرة وتساعد أرضها وبحارها.

طار بما لديه من جنود، رافقته رامسي. من خلفه، لم يعلم أن أختها ساحرة، وكانت تطيران بالبساط ومعهن وحوشهن، فلكل ساحر سر.

وعندما وصلوا، أضيئت الجزيرة نارا أذابت الجليد، بدأ سحرة الجليد يلقون الجليد عليهم وهم يتفادونه. تفاجأ بمحبوبته بجانبه تعزف لحن المجالدين، فتحمّس واندفع، قتل عشرة من سحرة الجليد.

كانت المهمة أن يأخذ المكعب السحري الذي يستمدون منه القوة، وأبهرته شجاعتهم، ولكن لم يكونوا مثل إقدامه، واستطاع الوصول للسر رغم المقاومة. ساعدته حتى الأشجار.

استغل الأسرى الفرصة وهربوا ليساعدوا، وهكذا فازوا، وهرب سحرة الجليد، وربما لن يعودوا مجددًا، لذلك قاموا بحبس سرهم في خزانة الجزيرة، وأقام العدل.

صديقنا وأميرته معه تعزف له ليلاً ونهاراً، قلما تستوقف نفسها لتحدثه.

تعافى الأب عند الجدة، وقرر الانتقام، أحضر كل السحرة، لم يستثن أحداً في عهده، وقرروا معركة الخير والشر الأكيدة.

زحف بجيشه الجبار، وسحرة الجليد كانوا مستعدين، كادوا يقعون في الكمين عند بداية التلال من السحرة الأشرار الذين يؤيدون أصحاب الصقيع، الذين كانوا يريدون السطوة والسمعة، وأنهم أوقفوا المختار.

وهكذا بدأت المعارك بين الخير والشر، وأعادوا للخير مجده بصنائعهم، وأثبتوا أن الحق مع صاحب الحق، مقولة مؤسس الدولة، الساحر العظيم الذي لم يعرف سرّه أحد، كان استثنائياً، لمّ شمل المستضعفين وجعل لهم وطنًا عاشوا فيه بسعادة، لم يعبث به أحد، كان قدوة المختار.

وهكذا انتصروا، كمينًا تلو كمين، ووصلوا لأرض الصقيع، وهددوا ملكهم، وكان حصار وغارة تلو أخرى، واستطاعوا الإجهاز عليهم.

انضم للجيش مؤخرًا الفتى المختار الطائر، ترك أميرته تعزف لطيور الغابات وأزهارها، لا تتوقف إلا عند عودته لهم.

واحتل الخير كل أراضي الشر، وحكموا الأرض هكذا، وأسروا ملك
الجليد الحزين لخسارته، وأخذوا أسرارهم ومصدر قوتهم.

اختلفوا بما سيفعلون بهم، الساحر الأعظم أخبرهم أن الحل معهم،
لعنة الأرض لا يقدر عليها أحد، ولكي لا يخرجوا، وسيكون هو الحارس
هنا.

قال الصبي إنه سيكون معه الآن، ولكنه رفض، وذكَرَه بمهمته خلفًا
له، ووعدَه بزيارته.

وهكذا عادوا، أقسم الملك أن لا يتركهم، وأنه سينتقم، ضحكوا عليه،
وقالوا له:

– أنت من عادانا، لذلك تحمّل، هيا فلنذهب.

ذهبوا، كلٌّ إلى مكانه سعيدًا، وكانت أم البطل شاركت لأول مرة، لم
تصدق أنها ساحرة، وأخوه راعي المزرعة معه ذئب يزعجه عواؤه،
وجنية أزهار الربيع التي أحبته ووعدته ألا تتركه أبدًا، أحبها أيضًا،
واعتنت به ببراءة، تواسيه بغنائها على القيثارة السحرية.

عاد الجميع، واختفت، والذئب أيضًا، شعر بوحدة في أيامه التالية،
ولكنه تعرّف بالساحرة رميسيـ، وذهب معها إلى الغابة والبساتين

لإحضار الفواكه، وهي أرتة سحرها وعذب غنائها، أنسته الجنية التي كانت تراقب.

أحست بها وسألتها:

– ماذا تريدان؟

أجابتها:

– إنه لي، لن أتركه.

قالت:

– لم أسلبه منك، هو سيختار.

كان مسحورًا، لم يسمع، وهكذا تم الأمر بالمنافسة الشديدة، وكانت الجنية تأتيه بشكل خارق الجمال وتعزف القيثارة، والأخرى تعزف الفلوت بعدوبة.

عندما عاد أخوه شهد المعركة، وقرر تعليمه بعض الحيل ليميز بينهما؛ لكي لا يتلاعبن به أكثر.

عاد البطل ليزرع، وتأتي التي تمتلك قلبه، رامسي، بهدوء. أتى بماء بركة الحياة، ولكنه لم يشف قلبه.

قرر خطبتها، ولكن رفض أبواها، قرر سحرهما، فأوقفته جدته، وقالت إن هذا ممنوع. شرطهما أن تكمل دراستها.

حزن وعاد هو وأبوه إلى امزرعة، وأخبره أن لديه ساحرة له، أغضبه ذلك، وبدأوا يلاحقونه بالضحك والمزاح.

المشكلة كانت في أخيه، الواقع بين أسر الجنية والساحرة صاحبة الفلوت.

السريير الفارغ وشى بعدم وجود الجد المريض. في تلك الليلة من الشتاء، كان يمرض في السريير، يُغلق عليه الغرفة وحيداً؛ لكي لا يشفق عليه أحد، يحتسي- الحساء بصعوبة، ويصعب عليه النوم، يقرأ ويكتب، ولا ينام من الأرق.

بكي الجميع ذكراه، وخصوصاً أنه لم يرَ أحفاده يكبرون حوله.

وهكذا عاد الفتى يتأمل ملصقات آلهة الحب في غرفته، وأخوه يدندن أغنيات الجنيات والفلوت معاً. أعجبه أمر أن يقع في حب اثنين من المستحيل أن يكونا معاً، إنه الحب هكذا، ولكن ليس له انشطار في القلب، يجب أن يقبع حب واحد فقط، وهو كان ضحية السحر

البشري، والآخر من عالم آخر، ليس بفوضوي أكثر من عالمه، ولكنه مستحيل عليه.

لكمه شقيقه الوحيد، وأخبره سره، ضحك عليه، وأخبره الحقيقة المرة:

– إن هذا لا يمكن، مستحيل.

لم يجادله، ولكنه قرر أن يعيش هكذا. عاد الهدوء إلى القرية بعد المهرجان، كان الأمر محتومًا.

أخذت الجدة ابنها للمعلم، وهناك قال لها إنه لا يؤمن بذلك، وإنه سيخرج هو وأباه. خرج بجيش من السحرة، بينهم طائفة أرواح الشلال، يسكنون في الشلال، وهم لا يُعبث معهم أحد، وواجهوا كمائن العدو، وبعدها واصلوا، وواصل هو المعركة، كان قويًا وفاز.

عاد لمحبووبته، ولكن الحروف خذلتها، بدأ يحدثها، ولكن بصوت كان مربكًا، وبعدها قال:

– هيا فلنذهب ونلعب لعبة.

بدأ يحترمها أكثر، ويترك لها مساحة، يخلص لها ولحبها له. كمائنها المُدركة عنده اقتحمها، ولاح له في الأفق جمال طبعها.

هدف الفتى كان المضي. قدمًا في قصتهما، أحس أكثر بالواجب تلك الأيام، وتولّى في تلك الفترة زمام الأمور، وتحلّى بالصبر.

جاء أبوه برأس ملك الصقيع، وكان ملطخًا بالدم، وكانت جدته واقفة لتشهد انتهاء ذلك العهد في حياتهم.

قالت له أن يشتري لها كلبًا جديدًا يواسيها على ما فيها من وحدة، فأحضر لها قطة بدلًا من ذلك، اختاره مع صديقتة، وجلب أيضًا الكلب المسحور لحماية المزرعة.

تساءل: هل زاد عندها الكبر ليصدها عن أعمال المنزل؟ لأنه رآها دائمًا مشغولة تفكر ولا تقوم بأي عمل.

الهجمات قالها لعلّ ذلك يجدي في تحريكها، ذكرها بأمور بشعة قد تحدث لو لم يكونوا يقظين. لا تحب الجدة أن تدخل في الأشغال التي تخص أحدًا، ولكن نداءها هذه المرة كان مجهولاً بالنسبة له؛ لأنها أمرته بالسفر والتجوال، ولكن الفتى أصر على البقاء.

تعافى أبوه، ووجب عليه السفر السريع للجزيرة، سأله:

— ما رأيك أن نستخدم الآلات السحرية للوصول؟

تعجب وسأل:

– من أخبرك؟

أجاب:

– أعطاني الساحر هذا إذناً، استخدمها، وهيا بنا.

جاءت الجدة، وعانقت طفليها، وضمتّهما لها، الاصفار بدا على وجهها، سكتت، وقالت إن الأسحار من العدو أمور مسلّم بها، وعون أشخاص أحياء كفيل بحل بعض القضايا، هكذا نتداركها لنستمر في العيش، من يقول غير ذلك فهو من الملحدين والدجالين وغيرهم.

أجابوا:

– نعم، سمعنا بها، ولم نرها، ولم نر الأمور بهذه الدقة.

قالت:

– هذا ما يحدث، والآن أسأل: من هو يجنين؟

وسُمع بعدها صوت إطلاق نار عنيف، أخذته الحماسة، وانطلق، لم يجد شيئاً.

وأمر الأب ابنه بالتحرك لآخر المدينة المسحورة.

عاد فتانًا إلى الرصيف البحري بعد زيارة المدينة، حكى الأب للابن وقال:

— عدتُ للمكان الذي صُدمتُ فيه، ما زلت أذكره وآلامه.

ضمَّ أبيه، وحمل حقيبتَه، لا وداع ولا بكاء، مجرد رسالة وداع. أخذ معه زهور الربيع، والجنيات، والذئاب، والغيلان، وذهب إلى الرصيف.

كان هناك صوت، لم يعلم من هو، وظهرت له عجوز، ملامحها قديمة، لكن لها بريقًا فيه التألق والجمال. أخبرته أن لا يحزن، وأن الأرصفة التي زرتها الآن هاجرت، ولم يرحل المهاجر الحق.

اختفت بعدها، وظل ساهرًا هناك، يحمل في نفسه الإحساس بالانهزام، ورغبة البقاء، غلبت عليها الكآبة. وهكذا عاد أدراجه، بالرغم من أنه ركب الحافلة، لا أثر إلا أن يعود.

رأى صاحبة الكمان، حولها الذئاب والجنيات يغنين ويرقصن معًا رقصة قدسية، أنشدوا معًا بالقيثارة، كان مشهدًا رائعًا في شتاء أضحى دافئًا وجميلًا.

وصل دون أن تنتبه، وبعد أن رآته اغرورقت عيناها دموعًا كأنها المطر الأحمر الحارق من سحابة غاضبة وهي تنزف بعد أن ضربها برق بصواعقه. تمكّن منها واقترب، احتضن أميرتنا، منعها إحساسها من أن تتكلم أو تعزف.

اقترب، حياة الجميع كانت صامتة، في دواخلها ألف ملامة وعتاب من أجل حبها وقلبها.

اجتمع الجميع حوله كدائرة، وصرخت فيه وهي تضرب صدره بقوة متثاقلة، هزّه إحساسها بالخيبة، فقرر أن يأخذها معه، ربما يحدث شيء سيئ، وربما لا.

سألها:

– ما رأيك أن نسافر معًا؟

أجابت:

– لا أستطيع، كما لا أستطيع فقدانك.

قال:

– حسنًا، لا تحزني، وخذي هذه التميمة، إن توهجت، تمنني ما شئت
إلا الرجوع، هل اتفقنا؟

- حسنًا.

أهداها صورة، وهي أهدته كتابًا عن الرحالة، ورحل صديقنا مع كل الحب.

كانت أختها حائرة في المكان، وهي في ذاتها كانت كذلك.

في الطريق، ضرب له القدر مواعيد أخرى، قرب الموت، حادث سيارة ضرب قلبه وقصم ظهره، وأصبح لا يتحرك، أُودي بشدة. في المشفى الحكومي، وجد الممرضون رقم هاتف، واتصلوا به، وأخبروهم بما حصل ومدى سوء حالته.

حضرُوا جميعًا، لم يتأخروا، كان في العناية المشددة. وهكذا بعدها نجا صاحبنا وتعافى قليلًا، ذهبوا به إلى البيت، وأخبروهم أن لا يزعجه أحد، وأن يواظب على الدواء والأكل الصحي، وأن يحصل على تمارين في مركز العلاج الطبيعي.

وافق الأهل، وغادروا بصديقنا الذي كان لا يستطيع المشي. وهكذا هذا ما حصل.

وبعدها حضر الوالد، وانزعج:

– لماذا لا تخبرونا بما حدث معه؟

أجابوا:

– كان قراره الرحيل وحده، وكيف علينا أن نثنيه عنه؟ لقد أصبح ابنك كبيرًا بما يكفي ليتخذ قراره ويمضي في حياته.

ما لا يعلموه هو أن الساحر الأعظم الجديد أتم مهمته في قهر قراصنة البحر، الذين يودون اصطياد حوريات البحر ليجدوا الكنز.

وبعدها، وبعد انتصاره، ذهب للساحر الأعظم معلمه، جلسا وتحدثا، وقال الحكيم الغريب:

– لم يأت أحد لأرض الصقيع منذ مدة، أظنهم قد خاب رجاؤهم.

أعاد نفسه للواقع، وامتنطى تنينه، وعاد إلى القرية، وهو سعيد بمهامه الأولى الناجحة.

التقى عازفة الكمان المشهورة في القرية المتمدنة حاليًا، وأختها الساحرة، وكانت برفقة أخيه الأصغر، رحبوا به وبعودته، وأخبروه أن أباه كان منزعًا من غيابه دون إذنه، ولكنه سيسامحه.

هكذا طمأنته أحاديثها، وكان هو في حاجة لذلك.

عادوا للجدّة الحزينة من أجل الكلب الذي اختفى ولا أثر له. عاد ومن معه، وبدأوا البحث، وجدوه في كهف مع أشلاء بهائم اقتنصها ليأكلها، وهكذا عرفوا من افترس بهائمهم من حظائرها.

لم يكونوا يعرفون أنه السفاح الخطير في المنطقة، كانوا يختبرون لماذا فعل الكلب ذلك الأمر: اختطاف الماشية، قتلها، وأكلها.

ولكن الفتى المختار عرف أن هناك أمرًا لا ينبغي ذكره لأحد، ولا يمكن لأحد سواه معرفة الحقيقة.

الكلب كان مسحورًا، ومن في طائفة سحر الدم هم من فعلوا ذلك. حكى له الساحر الكبير عنهم، وأنهم أشرار ليس إلا. وبمعرفة كل ذلك، حرر كلبه من أيدي المحققين دون أن يعيروا اهتمامًا، وبقي المزارعين أيضًا تنازلوا عن القضية، فهم يحترمون كلام الفتى ويتذكرون ما قدمه إليهم جده.

عاد، فوجد جدته قد أكملت حياكتها، وأنهت كرات الصوف، وأنهت عمل المنزل كله. حكى لها ما حصل، فقالت:

- قد يكون كلامك صحيحًا، ولكن من يقومون بذلك ليسوا سحرة الدم؛ فالدم عندهم رمزي ويعني الحياة لديهم، ولكن هؤلاء مصاصو

الدماء كانوا قد تعهدوا أن لا يأتوا لمناطقنا واصطياد الناس أو الماشية، ووافقوا.

- كيف نوقفهم، جدتي؟

- الأمر بسيط، نواجههم ونعبر عن غضبنا تجاه ما فعلوه، ولنر ما سيكون منهم من رد. سنواجههم، هم يحضرون في الظلام، ويتغذون بالدم، سيبدأون بتجنيد الناس وشرب دماء الأبرياء، وحتى الماشية. أعطته بعض العصي- المدببة، ورمح الفضة، وجرة دم مسحورة، وأردفت:

- هكذا نواجههم.

استدعى السحرة الأصدقاء، وتسלحوا، ووضعوا الكلب في الكهف. وفي منتصف الليل أتوا، وأخذوا بعض الماشية، ليتعرف السحرة المراقبون أين يذهبون. أصدرت إحداهن ضحكة مجلجلة، المكان مسحور وكله أفخاخ.

نجحوا في اصطيادهم، وتم التحري معهم، وسئلوا:

- من أين أتيتم؟ وهل تعلمون بالوثيقة التي بينكم وبين السحرة؟

قالوا:

– نحن جدد، ولا نعلم شيئاً، نحتاج أن نتغذى فقط.

– هلاً أخذتمونا إلى زعيمكم؟ هل سينزعج أم سيتصرف كأن شيئاً لم يكن؟

هكذا تساءلوا، تأسفوا لهم، وأخبروهم أن هذا غير ممكن، إلا إن تركوا القرية لحالها، سيلفى عنهم. وعدوا أنهم لن يأتوا مجدداً.

آثروا أن يقيدوهم، ويضعوا تعويذة على الكهف ليعرفوا ما سيحدث. تبرع أحد أصحاب الجماعة أن يحرس ويراقب المكان، ورجعوا منتصرين.

علم أن اتحادهم فيه قوة، ولا شرير سيقدر على هزيمتهم. وهكذا أتم مهمة نادرة، وغاب الأشرار عن طريقهم الجديد.

في السنة القادمة من الربيع، توهجت التميمة السرية التي أهدته لها أمه، وتمنى أن يُسمح بعروض السحر، وبالفعل وافقت المجالس التشريعية بعروض الخفة في السيرك وغيره.

وكان أول من اشترك هو وأخت صاحبتة، في العروض التي كانت تضم السحر والسيرك والمسرح والغناء، وكانت في أواخر الربيع. سمعوا الكثير من صيحات التشجيع والفرح من المشجعين.

كانت العروض التي فازت الغنائية، ثم بعدها السحرية، وصديقنا أصبح الساحر المحبوب لدى الجمهور، ويقام عرض خاص في العطلة الأسبوعية. وهكذا أمنيته الكبيرة قد تحققت.

شجعه معلماه السحر، وقدّما له هدايا سحرية في عيد مولده، الذي احتفل به في القرية، وغنى الكمان بألحان حنية رقيقة عليه أجمل المقطوعات.

عرض عليها أن يستقرا، ويقوما بالواجب المحتّم عليهما كاثنين محبين لبعضهما، فوافقت، ولكن ليس بكل تلك البساطة. استغرق الأمر بضعة أسابيع من الإلحاح الشديد.

قرر أن يسحرها، ولكن واجبه أن لا يفعل ذلك، لأن الحب شيء اختياري. وبعد فترة، ارتبطا بأمر حقيقي، وعاشا مع الجدة في كوخهما الجديد، والكل سعد بذلك.

لم يكن له غريم في عالمه، الذي أصبح ودودًا، وبعد أن رُزقا بطفلها الأول، بدأت الجدة بالتوعلك، والهرم بدا في عينيها الآن، قوتها كساحرة لم تنهزم رغم كل شيء.

جاء الخبر الصاعق: قراصنة الجزر والموانئ، وبعض السحرة من أصحاب السحر الأسود، تحالفوا ضد أبيه. طاردهم رغم التيارات العاكسة وغضب المحيط وغضب السماء، واستطاع الاستيلاء على أهم ما كان لديهم: سفينة النجاة الأولى، وهي التي كان اسمها "سارية الصمت".

احتفل بالنصر. والغنائم، ولكن ما لم يكن يعرفه أن الأمر كان اختبارًا من القوات الملكية، التي تحاول فرض سيطرتها على الجزر السياحية والجزر المسحورة أيضًا. وهكذا علموا ما قوته وما مكامن ضعفه، ليتردد الجميع حين سمعوا أوامر الملك بالغزو الفوري لجزيرة المختار والذين معه.

يكن سر قوة الجزيرة في التلال التي دائمًا ما تكون خضراء، يُزرع فيها أجمل الزهور، وفي الربيع لها طقس خاص بواسطة جنيات الربيع، اللاتي يعتنين بالأشجار والأزهار معًا، وتلك هي قوة وجمال الحياة في جزيرة المختار.

أتت القوات الملكية على الشواطئ، وأرسلت رسل السلام ليتباحثوا مع المختار، وهي: إما الاستسلام والعفو، أو دفع ضرائب باهظة من دون تأخير، وأن يمكث معهم مبعوث الملكية مع جنوده لينتظم جمع الضرائب.

كان عدد سكان الجزيرة قليلاً، والذين هم أصلاً كانوا فيها من قبل عندما كانت اللعنة موجودة. وهكذا رفض المختار العرض، خصوصاً أن القوات الملكية غير تابعة لأرماديا، دولته، وهي فقط تطارد أحلام ملك بعيد لديه طموح بالسطوة وحكم الجميع.

أرسل الطائر برسالة سحرية للجدة والابن عما حصل، وأن هناك ظلمًا حسب القوانين؛ من اكتشف جزيرة من حقه أن يحكمها إن كان يستطيع، والمختار كان أهلاً لذلك، وكانت مستقلة في فترة حكمه لها، وليس لديها سوى الاكتفاء الذاتي من الزراعة والسياح الذين يندهشون من جمالها.

في يوم ما بئس، التحق الكثير بجيش الجزيرة بقيادة الفتى، وكلهم من السحرة من كل أرجاء البلاد، وطاروا ورسوا عند الجزيرة، وأيقظوا وحش اللهب، وأعدوا العدة، وانتظروا قدوم المهاجمين.

وكانت المدفعية الأسطولية لفرسان الخليج قد أقامت عرضًا مرعبًا أمام سفن القوات الملكية، وأهم عرض كان اختفاءهم مع سيد اللهيب في عاصفة نارية. خاف الجنود وارتعد القادة، ولكن قسم الظواهر الطبيعية أرسلوا للملك برقية تقول إنهم يجب أن يستولوا على الجزيرة لما لديها من خير.

وعرج الجنود لكهوف السحرة لمساعدتهم، وحشد الملك جنوده لمعركة كبيرة ستغير منظور العالم للسحر وقدرات السحرة. وهكذا بدأ زحام المعركة الجبارة.

ولكن سهمًا اخترق قلب المختار العزيز. حاولت جنيات الشفاء، ولم يستطعن شفاؤه. رغم جراحه، كان قائدًا محنًا يعطي تعليمات جيدة للفوز، وفاز جيش المختار في النهاية.

نُكست أعلام الملكية، وانسحبت من المعركة، واحتفلوا بالنصر، الذي بات نصرًا حزينًا جراء ما حدث لقائدهم. وهذا تمامًا ما أراده الملك، وهو يعلم صغر ولي عهده، ابن المختار، ولكنه لم يعلم أنه شجاع وذكي، وأخطر من أبيه.

مات في ذلك اليوم المختار، حزن كل شيء وذبل، ثارت البراكين والزلازل، وذبلت الزهور والأشجار فجأة. لم تكن أمانة الجزيرة أمراً سهلاً على أي مختار.

والآن أُلقيت على الفتى، الذي لم يعرف أعداؤه أنه أقوى بذكائه وصباه، ووشم المختار على صدره وكتفه.

تزوج الأمير المختار بأميرته عازفة الكمان، مكث الجميع بالجزيرة، وحكمت بالعدل، وأزاحت الأعداء بالقوة والحنكة من قائدها.

كتب التاريخ بأساطيره أمجاد ذلك المختار الابن، ومن خلفه ذريته حكمت أيضاً بقوة، وتلك الحكم التي تركها لهم الأسلاف.